

# النزاع والتخاصم

فيما

بين بني أمية وبني هاشم

تأليف

تقى الدين المقرئى

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ

إعداد وتعليق

صالح الوردانى

الهدى  
للإعلام والنشر

اسم الكتاب: النزاع والتخاصم  
المؤلف: تقى الدين المقریزی  
الناشر: الهدف للاعلام  
رقم الإيداع: ٩٩/١١٥٦٠  
الترقيم الدولي: 977-5751-15-2

**بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ**

تقديم وتعريف

كتاب النزاع والتخاصم للمقريزى، هو الكتاب الذى تقدمه للقراء الكرام، نظراً لأهميته التاريخية، وقيمه الدينية. فمؤلفه هو،

أحمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن تميم بن عبدالصمد بن أبى الحسن بن عبدالصمد بن تميم التقى بن العلاء بن المحيوى الحسينى العبيدى البلعبكى الأصل، القاهرى المولد، أبو العباس، المعروف بالمقريزى نسبة لحارة فى بعلبك، تعرف بحارة المقارزة.

انتقلت عائلة المقريزى إلى القاهرة من بعلبك فى حياة أبيه على بن عبدالقادر، الذى أشغل بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء، ثم بالكتابة فى ديوان الإنشاء بالعاصمة.

ولد أبو العباس المقريزى على الأرجح سنة ٧٦٦هـ، فقد ذكر السخاوى بأن، «مولده حسبما كان يخبر به، ويكتبه بخطه بعد الستين» وقال السخاوى: «قال شيخنا ابن حجر إنه رأى بخطه مايدل على تعيينه فى سنة ٧٦٦هـ، وذلك بالقاهرة<sup>(١)</sup>».

وإلى هذا ذهب كل من ابن العماد الحنبلى، والشوكانى<sup>(٢)</sup> حيث أيد السخاوى فى رايه بأنه ولد عام ٧٦٦هـ.

(١) الضوء اللامع، ٢/٢١.

(٢) شذرات الذهب، ٧/٢٥٤، والبدر الطالع، ١/٢٩.

ويرى ابن تغرى بردى، وعلى مبارك؛ بأنه ولد بعد سنة ستين وسبعمائة بسنوات<sup>(٣)</sup>.

وهناك من يذهب إلى أنه هو نفسه قد ذكر بأن ولادته بعد سنة ستين وسبعمائة<sup>(٤)</sup>، ولقد كانت ولادته فى القاهرة، ونشأ بها، فقد تكفل تعليمه الابتدائى، وحفظه القرآن جده لأمه شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن على الحنفى، المعروف بسبط ابن الصائغ.

ثم انكب على الدرس والتحصيل بإشراف مجموعة من فضلاء عصره بحيث أظهر فى صغره مقدرة كافية لتكوين شخصيته، حتى كان موضع عناية أساتذة العصر.

وما أن وصل إلى عتبة العشرين من عمره، أو جاوزها بقليل حتى كانت له الأهلية التامة لأن يطوف على صفوة اعلام زمانه، ويلتقى بكبارهم ويجالس أئمتهم، وينتهل من نبيهم العلمى والأدبى.

ولقد ذكرت لنا بعض المصادر جملة ممن اخذ منهم تحصيله العلمى وكذلك عددًا ممن استجازهم، وفى مقدمة اولئك؛

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد النسائى المتوفى عام ٨٠٠هـ، والحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان الهيتمى الشافعى المتوفى ٨٠٧هـ. كما له اجازة من بهاء الدين أبى البقاء أحمد بن على السبكى وشهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد الأذرى الشافعى وغيرهما.

(٣) المنهل الصافى، ١/٣٩٤، والخطط التوفيقية، ٩/٦٩.

(٤) مقدمة النزاع والتخاصم طبعة النجف ١٣٦٨هـ.

وقال السخاوى: «وإن شيوخه بلغت ستمائة نفس<sup>(٥)</sup>» وتمكن المقرئى من تكوين شخصيته العلمية والأدبية، وبدا نجمه يلمع فى اوساط القاهرة، كفاضل لا يستغنى عنه، وأديب استطاع أن يوجه إليه الأنظار، ومؤرخ واسع الاطلاع بحيث جلب إليه الانتباه.

ومن اجل طلب العلم رحل إلى مكة مرتين، وظل مقيماً بها فى المرة الثانية حتى سنة ٨٣٩هـ، كما سافر إلى الشام، واتصل بعدد من الأعلام وامضى بقية حياته بعد ذلك فى القاهرة منصرفاً إلى الدراسة العميقة والتأليف فى مختلف علوم عصره، وكان من المكثرين المجيدين<sup>(٦)</sup>.

ولقد جمع إلى جانب معلوماته العلمية والتاريخية والأدبية، خبرة واسعة بالاصطربلاب والرمل، وامثالها<sup>(٧)</sup>.

واستمر مع الأيام يرتفع فيها صيته، ويشتهر ذكره، حتى أصبح علماً من الأعلام وشاخصاً فى المؤرخين، معظماً فى الدول، تضرب به الأمثال<sup>(٨)</sup>.

لكن المقرئى اتجه باهتمامه الكبير نحو التاريخ، فقد كان مغرئى به، معنياً بتحقيقه والتأليف فيه، وتدوين نوادره، حتى وصفته المصادر بأنه: «عرف منه جزء كبيراً معرفة تامة وحفظ منه كثيراً عن ظهر قلب».

(٥) الضوء اللامع، ٢١-٢٤/٢.

(٦) دراسة عن المقرئى فى مجلة الرسالة المصرية، ص١-١٩ ص١٦.

(٧) الضوء اللامع، ٢٣/٢.

(٨) شذرات الذهب، ٢٥٤/٢.

وقال ابن تغرى بردى - وهو من مؤرخى مصر المعروفين - : «وفى الجملة هو (المقرئى) اعظم من رأناه فى علم التاريخ وضروبه، مع معرفتى لمن عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر<sup>(٩)</sup>».

ورغم ما اكده العلماء، وكتاب التاريخ بأن المقرئى من الطراز الأول فى تدوين التاريخ ووفرة الاطلاع فيه، فإن المقرئى نفسه أكد لنا ايضا بأنه ضرب فى باقى أنواع المعرفة قدحه وشارك فى أكثر من نوع واحد من أنواع المعرفة فلقد سجل لنا ثبت مؤلفاته أنه ترك للمكتبة الإسلامية العربية مؤلفًا فى علم الكلام، والعقائد والتوحيد، وآخر فى الحديث، وثالثًا فى السكة، والأوزان والمقاييس، كما كتب فى المعادن، والطب والموسيقى وغير ذلك من العلوم التى تتعلق بحياة المجتمع، بحيث بلغت مؤلفاته مايزيد على المائة مجلد.

وبعد هذا فهو شاعر مجيد وإن لم تسجل لنا المصادر نماذج كثيرة من شعره، غير أن السخاوى نقل عن شيخه بأن له نظمًا فائقًا، وشعرًا زائقًا، ومما قاله فى وصف دمياط:

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| سقى عهد دمياط وحيا من عهد      | فقد زادنى ذكراه وجداً على وجد  |
| ولا زالت الأنواء تسقى سحابها   | دياراً حكمت من حسنها جنة الخلد |
| فيا حسن هاتيك الديار وطيبها    | فكم قد حوت حسنا يجل عن العد    |
| قلله أنهار تحف بروضها          | لكالمرهف المصقول أو صفحة الخد  |
| وبشنيها الريان يحكى متيماً     | تبدل من وصل الأحبة بالصد       |
| فقام على رجليه فى الدمع غارقاً | يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد |

(٩) مجلة الرسالة، س١، ع١٩٤، ص١٧.

وظل على الأقدام تحسب أنه  
ولا سيما تلك النواعير إنَّها  
اطارحها شجوى وصارت كأنما  
فقد خلتها الأفلاك فيها نجومها  
وفى البرك الغراء يا حسن نوفر  
سماء من البلور فيها كواكب  
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة  
وتنشى رياحا تطرد الهم والأسى  
وفى مرج البحرين جم عجائب  
كأنَّ التقاء النيل بالبحر إذ غدا  
وقد نزلا للحرب، واحتدم اللقاء  
فضلا كما باتا وما برحا كما هما  
فكم قد مضى لى من أفانين لذة  
وكم قد نعمنا فى البساتين برهة  
وفى البرزخ المأنوس كم لى خلوة  
هناك ترى عين البصيرة ما ترى  
فيارب هيئ لى بفضلك عودة

لطول انتظار من حبيب على وعد  
تجدد حزن الواله المدنف الفرد  
تطارح شكواها بمثل الذى أبدى  
تدور بمحض النفع منها وبالسعد  
حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد  
عجيبه صبغ اللون محكمة النضد  
تعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد  
وتنشى لىالى الوصل من سيبها عندى  
تلوح وتبدو من قريب ومن بعد  
مليكان ثارا فى الجحافل من جند  
ولا طعن إلا بالثقة فى الملد  
من جليل الخطب فى اعظم الجهد  
بشاطئها العذب الشهى لذى الورد  
بعيش هنء فى امان وفى سعد  
وعند شطا عن ايمن العلم الفرد  
من الفضل والإفضال والخير والمجد  
ومن بها فى غير بلوى ولا جهد<sup>(١٠)</sup>

هذه هى المقطوعة الشعرية الوحيدة التى أشارت لها المصادر الأدبية وذكرها هو  
فى إحدى مؤلفاته<sup>(١١)</sup>.

وإذا حاولنا أن ندرس جوانب أخرى من سماته الشخصية، غير الناحية العلمية

(١٠) الخطط المقرزية، ١/٣٦٢.

(١١) المنهل الصافى، ١/٣٩٩ هامش ١.



والأدبية، فقد اجمع معاصروه على أنه كان رجلاً فاضلاً ديناً، مجدداً، أميناً فى عمله، على جانب عظيم من حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع، وعلو الهمة لمن يقصده، والمحبة فى المذاكرة وحسن الصلوات، ومزيد الطمأنينة، والملازمة لسنة، محمود السيرة فى مباشراته، وقد لخص ابن حجر هذا كله بقوله: «وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة»<sup>(١٢)</sup>.

وختمت بعض المصادر حديثها عنه بقولها: «قد انقطع فى داره ملازماً للخلوة، والعبادة، قل أن يتردد على أحد إلا لضرورة»<sup>(١٣)</sup>.

وبالنسبة لمذهبه فتؤكد لنا المصادر بأنه انحدر من أب حنبلى وأن جده لأبيه كان فقيهاً حنبلياً، وحجة فى الحديث، أما جده لأمه - وهو ابن الصائغ - فقد كان فقيهاً حنفيًا.

ولكن المقرئى تفقه فى شبابه على المذهب الحنفى تبعاً لجده لأمه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع - وذلك بعد وفاة والده فى سنة ٧٨٦هـ وهو حينئذ قد جاوز العشرين تحوّل شافعياً، واستقر عليه أمره، ولكنّه كان مائلاً إلى المذهب الظاهرى، ولذلك قال السخاوى: «وقال شيخنا - ويقصد ابن حجر - أنه أحب الحديث فواظب على ذلك، وحتى كان يتهم بمذهب ابن حزم، ولكنّه كان لا يعرفه»<sup>(١٤)</sup>.

ويقول ابن العماد: «وكان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم، لميله إلى --

(١٢) الضوء اللامع: ٢/٢٤.

(١٣) نفس المصدر المتقدم.

(١٤) الضوء اللامع: ٢/٢٢.

المذهب الظاهر<sup>(١٥)</sup> .»

وقال ابن تغرى بردى فى هذا الصدد: «وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده لأمه، ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة لسبب من الأسباب ذكره لى<sup>(١٦)</sup> .»

أما المصادر الحديثة فيقول الدكتور محمد مصطفى زيادة: «وكفل تعليم الصبى جده لأمه فأخذ بتنشئته على أصول المذهب الحنفى، ولما مات أبوه عام ٧٨٦هـ ترك المذهب وانتقل إلى الشافعية، ودرس الفقه دراسة واسعة، وأخذ بعدئذ يهاجم الحنفية فى عنف استجلب لوم معاصريه له<sup>(١٧)</sup> .»

وأكاد أطمئن بأنّ المقرئى قد انتهى إلى الشافعية لأمرين،  
أولاً: لنهاب أغلب المؤرخين والباحثين إلى القول بكونه شافعى المذهب.  
ثانياً: لعدم تحامله على آل البيت عليهم السلام، وحبه لهم وإنّ المتتبع لمؤلفاته يرى أنّه لم يحاول المساس بهم بما يشين كرامتهم، وتكاد تكون هذه طبيعة عامة الشافعيين إلا ما شذ.

وبعد هذا كله، فلقد ملك المقرئى كل المقومات العلمية والأدبية والاجتماعية التى أهلته لأن ينال لدى المسؤولين مكانة كبيرة، وعناية خاصة، وكان من الطبيعى أن تحتضن دار الإنشاء فى القاهرة هذه الشخصية، ولما أبدى فيها الكفاءة والمقدرة الفائقة تنقل بعد ذلك فى عدة مناصب كبيرة فى الدولة، وكان فى خلالها مثال الموظف المستقيم

(١٥) شذرات الذهب، ٢/٢٥٥.

(١٦) المنهل الصافى، ١/٣٩٤.

(١٧) المؤرخون فى مصر، مجلة الثقافة س١، ١٩٤، ص١٥.

يحب الخير ويعمل من أجله، ويؤدى واجبه كموظف يرى خيرا ما يجب عليه ان يقوم بما التزم به بكفاءة وقابلية.

ولقد بقى كاتباً فى ديوان الإنشاء حتى سنة ٧٩٠هـ، ثم غدا بعد فترة قليلة نائباً من نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعى، ثم إماماً لجامع الحاكم، ومدرّساً للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفى سنة ٨٠١هـ اختاره السلطان برقوق - وكان حفيًا به مشجعًا إياه - لوظيفة محتسب القاهرة، والوجه البحرى - وهى من مناصب القضاء الهامة يومئذ - ثم بعد فترة من الزمن عزل عنها، وعاد لتوليتها بعدئذ فى أيام الدودار الكبير سودون، ابن اخت الظاهر.

وفى سنة ٨١١هـ انتقل المقرئى إلى دمشق ليتولى النظر على اوقاف القلانسية والمارستان السورى، والتدريس فى مدرستى الأشرفية، والاقبالية بمادة الحديث، ثم لم يلبث ان اختاره السلطان فرج بن برقوق لأن يكون قاضيا بدمشق، ثم تنقل بعدها فى عدة مناصب، وطال به المكث فى دمشق، فقد كانت إقامته فيها ما يقارب عشر سنوات، يتولى فيها مختلف المناصب.

وأثر فى نفسه عامل السّام من الوظائف الحكومية، لذا فقد طلب من المسؤولين اعفائه عن كل منصب، واستجابت الحكومة لطلبه. فترك دمشق واعمالها، وعاد إلى القاهرة ليتفرغ إلى البحث والكتابة<sup>(١٨)</sup>.

(١٨) راجع فى هذا الصدد المصادر التالية: الضوء اللامع، ٢/٢٢، والمنهل الصافى، ١/٣٩٩، ومصر الإسلامية، ٤٥، المؤرخون فى مصر مجلة الثقافة، س١. ١٩٤. ص١٥.

وهناك ظاهرة فى حياة المقرزى جديرة بالناية والاهتمام، تلك هى تعصبه لوطنه وتكرس جهوده له، والتغنى فى محاسنه، وكل ذلك «ينم عن الحب العميق الذى كان يمالأ جوانح المؤرخ نحو وطنه، ومسقط رأسه، وعمما كان يحدوه من شغف الوفاء بتخليد آثار هذا الوطن وتدوين محاسنه وسعاداته، ورثاء مصائبه ومحنه<sup>(١٩)</sup>».

ولقد كرس جزءاً كبيراً من مؤلفاته فى التحدث عن مصر، وقد طغت هذه الظاهرة عليه حتى عبّر عنها نفسه فقال فى مقدمة خططه: «وكانت مصر مسقط راسى، وملعب أترابى ومجمع ناسى، ومغنى عشيرتى وحامتى، وموطن خاصتى وعامتى، وجؤ جؤى الذى ربى جناحى فى وكره وعش ماربى، فلا تهوى الأنفس غير ذكره، لا زلت مذ شذوت العلم وآتانى ربى الفطانة والفهم، أرغب فى معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الإغتراب من آبارها، وأهوى مسألة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلّ ما يجمعها كتاب... الخ<sup>(٢٠)</sup>».

وهكذا كان، فلو ألقينا نظرة على ثبت مؤلفاته، راينا أنه خص مصر وأخبارها بقسط وافر من مجهوده، ضمنها تاريخ مصر، والدول التى تعاقبت عليها، وعلى سبيل المثال نذكر ما توصلنا إليه فى هذا الصدد:

١- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار: ويعرف «بخطط المقرزى» ويقع الكتاب فى أربعة أجزاء، ويشتمل على تاريخ مصر بصورة مفصلة وقد طبع عدة طبعات.

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك: وهو تاريخ مصر من سنة ٥٧٧ إلى سنة ٨٤٤هـ،

(١٩) مصر الإسلامية، ٤٦.

(٢٠) الخطط المقرزية، ٢-٣/١.

قال جرجى زيدان: «ذكر فيه الله لما اكمل كتاب «عقد جواهر الأسفاط» وكتاب «اتعاظ الحنفا» وهما يشتملان على من ملك مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى أيامهم من الحوادث منذ فتحت إلى أن زالت دولة الفاطميين، أراد أن يصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم، من الأكراد، والأتراك، والجراكسة، غير مقيّد فيه بالتراجم والوفيات، فالف هذا الكتاب، رتبه على السنين بذكر حوادث السنة، ثم يترجم من مات فيها من الأعيان ترجمة مختصرة، وإنما يطيل فى الحوادث<sup>(٢١)</sup>».

نشر هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة فى عدة أجزاء فى القاهرة.

٣- المقضى أو التاريخ الكبير: وصف فيه معيشة الأمراء والمشاهير الذين أقاموا بمصر رتبته على الحروف الأبجدية، وقدر أنه يستغرق ثمانين مجلداً لم يظهر منه إلا ١٦ مجلداً، منها ثلاثة مجلدات فى ليدن، ومجلد فى باريس كلها بخط المؤلف.

٤- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة: وهو معجم لتراجم الأعيان من معاصريه فى ثلاثة مجلدات، منه قطعة فى حرف الألف وأخرى فى حرف العين بخط المؤلف فى غوطا.

٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء: وهو تاريخ الدولة الفاطمية، منه نسخة فى غوطا بخط المؤلف، عنى المستشرق بونز بنشرها سنة ١٩١١م فى غوتنجن، ولايبزك ١٩٠٩م ص ١٥١ وهذه النسخة طبعت بمطبعة دار الأيتام السورية بالقدس الشريف، كما نشرها الدكتور جمال الدين الشيال فى القاهرة.

(٢١) تاريخ آداب اللغة العربية: ٣/١٩١.

٦- البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب؛ منها نسخة فى فينا، وباريس، ودار الكتب المصرية، وقد ترجمها وستنفلد إلى الألمانية، ونشرها فى غوتنجن سنة ١٨٤٧م فى ثلاثة أجزاء.

٧- عقد جواهر الأسفاط فى أخبار الفسطاط؛ قال جرجى زيدان لم نقف على خبره<sup>(٢٢)</sup>.

٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة؛ وهو تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور حتى سنة ٨٠٨هـ، وهو العام الذى وضع المؤلف فيه كتابه المذكور وقد نشره الأستاذان؛ زيادة والشيال بالقاهرة ١٩٤٠.

٩- تاريخ الأقباط، أو أخبار قبط مصر؛ قال سركىس؛ «وهذا الكتاب مستخرج من كتاب المواعظ والإعتبار «الخطط» وقد طبع مرتين؛ الأولى؛ باسم «دخول قبط مصر فى دين النصرانية» ومعه ترجمة لاتينية باعتهاء الأستاذ ونزر فى سالباشى ١٨٢٨م، ص ٢٤ و ٢١٥. والثانية؛ باسم «أخبار قبط مصر» باعتهاء العلامة وستنفلد فى غوتا ١٨٤٥م ص ١٧٢ و ٧٠ وباعتهاء الأستاذ هماكر فى امستردام سنة ١٨٢٤م<sup>(٢٣)</sup>».

هذه الكتب الرئيسية التى خصها المقرئى من سلسلة مؤلفاته بتاريخ مصر وبحث فيها جميع جوانبها العلمية والأدبية والاجتماعية، وهناك الكثير من البحوث التى تخص وطنه نراها منتشرة فى ثنايا مؤلفاته غير المخصوصة بمصر، كالبحت عن الدول -----

(٢٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩٧.

(٢٣) معجم المطبوعات العربية، ٢/١٧٨٠.

المجاورة لمصر ومدى علاقتها بها وتاريخ النقود المصرية، وغير ذلك.

ولست مبالغاً إذا ادعيت: أنّ المقریزی كان يود أن يزج حديث مصر في كل كتاب يؤلفه تأكيداً على حبه لها، وهذه الظاهرة طغت على أكثر من جانب من نتاجه العلمي أو الأدبي، أو التاريخي، أو أي جانب آخر من المواضيع التي كتبها.

ومن الجدير وقد بلغ بنا الحديث إلى مؤلفاته أن نستعرض ما كتب والف، فقد ذكر السخاوی قائلاً: «قرات بخطه أنّ تصانيفه زادت على مائتي مجلدة كباراً»<sup>(٢٤)</sup>.

وأكدت بعض المصادر أنّه كان مثابراً على التأليف والبحث، ولم يمسه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته.

قال جرجى زيدان: «ثم استقر في القاهرة، وانقطع للعلم واشتغل بالتاريخ، والف فيه مؤلفات مهمة، هي مرجع الناس في حالة مصر السياسية والاجتماعية فضلاً عن التاريخ»<sup>(٢٥)</sup>.

والحقيقة أنّ المقریزی قد ولع بالجانب التاريخي، وأولى عناية خاصة فيه بحيث اضطر مترجموه أن يعترفوا بهذه الحقيقة، ولقد ذكر ابن تغرى بردى وهو خليفته في هذا الاتجاه ما يؤكد على هذا الإدعاء.

يقول: «وفي الجملة هو أعظم من رأيناه في علم التاريخ وضروبه مع معرفتي لمن

(٢٤) الضوء اللامع: ٢/٢٢.

(٢٥) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩٠.

عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر<sup>(٢٦)</sup>».

وكذلك السخاوى المؤرخ المصرى الذى ينازع المقرئى مكانته يعترف، فيقول: «وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً، وصنّف فيه كتباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه<sup>(٢٧)</sup>».

وكانت حصيلة هذه الوفرة العلمية المؤلفات التالية:

- ١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقرئى.
- ٢- السلوك لمعرفة دول الملوك.
- ٣- المقضى، أو التاريخ الكبير.
- ٤- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة.
- ٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء.
- ٦- البيان والاعراب عما فى أرض مصر من الأعراب.
- ٧- عقد جواهر الأسفاط فى أخبار الفسطاط.
- ٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة.
- ٩- تاريخ الأقباط، أو أخبار قبط مصر<sup>(٢٨)</sup>.
- ١٠- الدرر المضية فى تاريخ الدولة الإسلامية، من مقتل عثمان إلى المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، نسخة منه فى كمبريدج.
- ١١- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، فى ستة مجلدات حدث به فى مكة والمدينة، منه نسخ فى غوطا وكوبرلى، ودار الكتب المصرية.

(٢٦) مجلة الثقافة، س ١. ع ١٩. ص ١٧.

(٢٧) الضوء اللامع، ٢/ ٢٤.

(٢٨) تقدم الحديث عن هذه الكتب.



١٢- نبذة العقود فى أمور النقود (أو شذور العقود)؛ يشتمل على تاريخ النقود العربية، تكلم عن النقود القديمة عند الفرس والروم واجزائها، ثم النقود الإسلامية، وتاريخها فى الجاهلية، وما كان ينقش عليها، ثم تكلم عن نقود مصر فى أيامه، منها نسخ فى برلين وليدن والاسكوريال، ونقلت إلى الايطالية، وطبعت فى روستك سنة ١٧٩٧ بهمة الأستاذ تيكس وترجمها دى ساسى إلى الفرنسية ونشرت فى باريس سنة ١٧٩٧، وقد طبعت فى مصر سنة ١٢٩٨هـ، كما طبعتها الأب إنستاس فى ضمن كتاب النقود العربية وعلم النميات سنة ١٩٣٩م فى القاهرة وطبعت فى النجف الأشرف فى المطبعة الحيدرية قبل ٢٥ عامًا تقريبًا.

١٣- المكايل والموازن الشرعية؛ رسالة تبحث فى المكايل والموازن العربية بالنظر إلى الشرع والعرف العام، منها نسخة فى ليدن وأخرى فى دار الكتب المصرية فى ١٨ صفحة، وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت فى روستك سنة ١٨٠٠م ص ٢٠ و ٨٠، باعثناء الأستاذ رنك.

١٤- مقالة لطيفة وتحفة سنية شريفة؛ فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر والرسالة فى المتحف البريطانى.

١٥ - ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى، فى المتحف البريطانى.

١٦- النحل عبر النحل؛ فى النحل ومملكته، والعسل واسمائه وما يتصل بذلك فى علم الحيوان والنبات، نسخة منه فى كمبريدج ونشرها جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٦م بمصر.

١٧- الطريقة الغربية فى اخبار حضرموت العجيبة (أو الطرفة الغربية)؛ رسالة فى إرشاد الحاج لطريق مكة. فى كمبريدج، وقد طبعت فى بون، مصورة ومشروحة سنة ١٨٦٦م، باعثناء الأستاذ سكوى عربى ولاتينى.

١٨- الإلام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام، كتاب صغير طبع فى بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م، وفى مصر سنة ١٨٩٥م مطبعة التأليف ص ٢٧، ومطبعة الموسوعات.

١٩- معرفة ما يجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم منه نسخة فى فيئًا.

٢٠- الذهب المسبوك فى معرفة من حج من الملوك؛ ذكر فيه ٢٦ نضراً، أولهم الرسول فالخلفاء الراشدون، ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء، ومنه نسخة فى كمبريدج.

٢١- الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء؛ فى دار الكتب المصرية.

٢٢- إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء؛ فى باريس.

٢٣- ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال؛ منه نسخة فى فيئًا.

٢٤- كتاب الخبر عن البشر؛ وهو كبير فى ستة أجزاء، ذكر فيه القبائل وأنساب الرسول (ص)، منه نسخ فى أيا صوفيا، وفى خزانة الفاتح وفى ستراسبورج، وقال جرجى زيدان؛ ونقلت عنه مجلة المشرق فصلاً فى تاريخ الكتابة العربية فى الإسلام (سنة ١٠ صفحة ٤٧٨) (٢٩).

٢٥- تراجم ملوك الغرب؛ فيه أخبار أبى حمو، ومن خلفه على تلمسان، منها نسخة فى ليدن، وفيئًا فى جملة مجموعة، فيها بضعة عشر مؤلفًا من مؤلفات المقرئى التى تقدم ذكرها.

٢٦- البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد؛ وفى بعض المصادر ورد اسمه (تجريد التوحيد المفيد) نسخة منه فى دار الكتب المصرية، وورد ذكره فى فهرست مخطوطات مكتبة جسر بتى ليدن ٤٥١ برقم ١٤٩٦.

٢٧- جنى الأزهار من الروض المعطار؛ ذكره جرجى زيدان وقال؛ «منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى ١١٦ صفحة ذكر فيها أنه خلاصة «الروض المعطار فى عجائب الأقطار» وفيه وصف أهم الأقاليم ومساحاتها، وفى صدر هذه النسخة سُمى المؤلف شهاب الدين المقرئى فإذا صحت التسمية، كان المؤلف أحد أعقاب تقى الدين

المقریزی، لأنّ الروض المعطار الذى لخصه، تأليف أبى عبد الله الحميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ أى بعد تقى الدين المقریزی بنصف قرن<sup>(٢٠)</sup> .»

٢٨- تاريخ الجراكسة: قال جرجى زيدان، لعله مقتطف من كتاب (واسطة السلوك فى دول الملوك)<sup>(٢١)</sup> .»

٢٩- مجمع الفرائد ومنيع الفوائد: ويشمل على علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة، هكذا نقل السخاوى<sup>(٢٢)</sup> .

٣٠- ما شاهده وسمعه ما لم ينقل فى كتاب.

٣١- المقاصد السنية فى معرفة الأجسام المعدنية.

٣٢- السير فى سؤال خاتمة الخير.

٣٣- الإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام، ومختصره.

٣٤- الإخبار عن الإعدار.

٣٥- شارع النجاة: اشتمل على ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وقروعها مع بيان ادلتها، وتوجيه الحق فيها.

٣٦- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: وهو الكتاب الذى نحن نقدمه للقراء الكرام، وقد نصت عليه كل المصادر التى تترجم للمقریزی.

وتكاد تكون هذه أهم مؤلفات المقریزی حسبما ذكرتها مجموعة من المصادر القديمة منها والحديثة.

(٢٠) تاريخ آداب اللغة العربية، ٣/١٩٢.

(٢١) نفس المصدر، ٣/١٩٢.

(٢٢) انفراد بذكر هذا الكتاب والكتب التى تليه السخاوى فى الضوء اللامع، ٢٢-٢٤/٢، وقد اقتصر على ذكر الاسم فقط.

بقى ان نعرف مدى قابليته على الضبط والاتقان فى النقل التاريخى وباقى الجهات العلمية، وأول ما يطالعنا فى ذلك شمس الدين السخاوى - الذى يعتبر من اعلام عصره - فقد أنكر عليه فضل وضعه وابتكاره لأنفس مصدر فى تاريخ مصر الإسلامية، ذلك هو خططه، ونسب إليه النقل والتزييف، وحمل عليه بشدة، ورماه بالادعاء والضعف والسقط.

ولنقرأ له - فقرة وردت فى ترجمته يقول فيها: «وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة فى الجاهلية، وغيرها، وأما الوقائع الإسلامية، ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل، والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه<sup>(٣٣)</sup>».

ويقول فى مناسبة أخرى، وفى ضمن ترجمته له أيضا: «وكان حسن المذاكرة بالتاريخ، ولكنّه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر فيهم وقوع التحريف والسقط، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على أقوال السلف، وإمام بمذاهب أهل الكتاب، حتى كان يتردد إليه أفاضلهم للإستفادة منه، مع حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده، كل ذلك مع تبجيل الأكابر له، إما مداراة له خوفا من قلمه أو لحسن مذكراته<sup>(٣٤)</sup>».

ولعل القارئ قد لمس محاولة السخاوى فى الحط من شخصية المقرئ من خلال هاتين الفقرتين.

ولكنّ السخاوى يذهب إلى أبعد من هذا الحد فى الانتقاص فيدعى فى موضع

(٣٣) الضوء اللامع، ٢/ ٢٣.

(٣٤) الضوء اللامع، ٢/ ٢٢.

آخر من مؤلفاته بأنَّ المقرئى، «أقام ببلدة عاكفا على الاشتغال بالتاريخ، حتى اشتهر ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد، لكونه ظفر بمسودة الأوحى فأخذها وزادها زوائد غير طائفة<sup>(٣٥)</sup>».

وإذا كان السخاوى قد رمى زميله المقرئى بعدم الضبط فى الفقرتين المتقدمتين، ففى هذه المرة رماه بالإختلاس، وهذه تهمة كبيرة جداً بالنسبة لمؤرخ حاز المكانة الأولى فى آثاره وتصانيفه.

وذهب السخاوى يؤكد هذا المعنى فى أكثر من موضع، تارة بالتلويح، وأخرى بالصراحة، كل ذلك ليحكم الطعن الذى وجهه إلى زميله المؤرخ الذى نال اهتمام الملوك والزعماء وأهل العلم والأدب فى حينه.

ولكن الذى يرجع إلى كتب السخاوى، ويقرا ما يكتبه من التراجم يستطيع ان يخرج بنتيجة واضحة فى أسلوب ونفسية السخاوى تلك هى مهاجمته لأكابر عصره، وانتقاصه لأقدارهم، ونقده لجهودهم ففى (الضوء اللامع) ما يكفى للتدليل على هذا الادعاء، ولقد أصاب ابن خلدون، والبقاعى، وأبا المحاسن ابن تغرى بردى ما أصاب المقرئى من لوم وتقريع من السخاوى ولقد ألف جلال الدين السيوطى مقامة شديدة كتبها للرد على السخاوى، أسماها (الكاوى على تاريخ السخاوى) قال فيها: «ماترون فى رجل الف تاريخاً جمع منه أكابر واعياناً، ونصب لأكل لحومهم خواناً ملاء بذكر المساوى، وثلب الأعراض، وفوق فيه السخاوى سهاماً على قدر اغراضه<sup>(٣٦)</sup>».

(٣٥) التبر المسبوك فى ذيل السلوك، ٢١ ط بولاق.

(٣٦) مصر إسلامية، ٥٧ عن مخطوطة المقامة، وجاء فى هامش ٣ من الكتاب والصفحة، أن كتاب (الكاوى على تاريخ السخاوى) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (١٥١٠ - ادب).

ولقد أصبح موقف السخاوى والمقرزى موضع دراسة واهتمام كثير من الباحثين وخاصة لدى المستشرقين، فمنهم من وقف إلى جانب السخاوى وآخر أكد على نظافة المقرزى من هذه التهمة.

واستمر المقرزى فى نشاطه العلمى والأدبى، مثابراً على التأليف والبحث ولم يمسه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته عام ٨٤٥هـ بالقاهرة، وذهب السيوطى إلى أن وفاته كانت عام ٨٤٠هـ ودفن فى مقبرة الصوفية، خارج باب النصر من القاهرة.

ولم تشر المصادر إلى ذرية له سوى ما ذكرت بعض الروايات من أن له بنتا ماتت فى حياته بالطاعون الذى اجتاح القاهرة عام ٨٠٦هـ.



وبعد استعراضنا لحياة المؤلف بصورة عاجلة، ننتقل إلى الكتاب الذى نحن بصدد تقديمه للقراء الكرام، وهو:

﴿النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم﴾

هذا هو اسم الكتاب، وهو يشرح بوضوح ما يضم بين دفتيه، وأجمعت المصادر المترجمة للمقرزى أنه من مؤلفاته.

فالنزاع بين بنى هاشم وبنى أمية يمتد جذوره إلى هاشم بن عبد مناف،

وابن أخيه أمية بن عبد شمس، فيستعرض المقريزي جملة من الأسباب التي أحكمت المنافرة بين هاشم وأميه، وانتقلت بعدهما إلى ولديهما عبدالمطلب بن هاشم وحرب بن أمية وتمادت العداوة بين البيتين حتى انتقلت من رجل إلى رجل، وانتهت إلى رسول الله (ص)، وكان موقف أبي سفيان معلوماً لكل من اطلع على خطوط السيرة النبوية، وتاريخ تلك الحقبة من السنين.

ثم انتقل هذا الموقف إلى الإمام على عليه السلام، ومعاوية ابن أبي سفيان، وبعده إلى الحسين بن على «ع» ويزيد بن معاوية، وهكذا تسلسل من بيت إلى بيت، ومن رجل إلى رجل، ولقد أحكم هذا النزاع وتوثقت أسبابه على مر الأيام، وهول الأحداث، وتجسد على مسرح التاريخ بشكل تتقرّر منه النفوس من ظلم الأمويين لهذا البيت الطاهر الذي فضّله الله بالإمامة وشرفه بالنبوة، وخصه بكل مكرمة.

وحاول المقريزي أن يستعرض علاقة هاذين البيتين ويسجل الأسباب التي دعت إلى المنافرة وفعلاً نجحت محاولته، وكان - كما أعهد - الكتاب الأول في موضوعه، إذ لم يسبقه أحد في هذا البحث، سوى ما سجلته المصادر التاريخية الكبرى في ثناياها عن سيرة بني هاشم، وبني أمية ولكن دون أن تخصصهما بكتاب مستقل.

وجاء الكتاب سجلاً حافلاً مسلسلاً عن المشاكل والخصام القائمة بين هاتين الأسرتين، والصراع الدامي الذي دار بينهما زماناً ليس بالقصير وانتهى إلى مآسى فظيعة اسودّ فيها وجه التاريخ.

ولم يقتصر المؤلف على موقف الأمويين من الهاشميين فحسب، بل تناول موقف العباسيين - استطراداً - من العلويين، وسرد الكثير من الوقائع التي جرت عليهم، من

قبل الخلفاء العباسيين وأعاونهم، وألوان الضيم والظلم، والاضطهاد والجور، بحيث يقصر الحديث لو حاول الإنسان التحدث فيه.

ولعل الشاعر العربي ليس مبالغًا في قوله:

تأله ما فعلت أمية فيهم      معشار ما فعلت بنو العباس

وهذا الصِّراع الدامى الذى لاقاه الهاشميون من يومهم الأول، وحتى نهاية الدولة العباسية، وما بعده بألوانه الدامية، سواء من الأمويين أو من العباسيين أو من غيرهم ماهو إلا صراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وكانت النتيجة غير ما قدر لها الأمويين واضرابهم:

فهذا على والأهزيج باسمه      تشق الفضا النائى فهاتوا معاويا  
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته      رفاتا وإلا فانشروها مخازيا

وكان المقرئى موفقا كل التوفيق فى تسجيل تلك الأحداث، وتصوير تلك المآسى مما جسد طبيعة الصِّراع والأحداث بينهما خير تجسيد وأفهم الناس المحق منهما من المبطل.

ولما كان هذا الموضوع وطيد الصلة بمجتمعنا الإسلامى، وإن الأمة الإسلامية تواقة للإطلاع على تفاصيل هذا الموضوع، كان من الطبيعى أن يلاقى هذا الكتاب رواجًا باهرًا، ويطلع عدة طبقات، خاصة إذا انتهينا إلى أنّ لهذا الموضوع علاقة أكيدة بعقائدنا وتقاليدنا الدينية.



ولقد عثرت على ثلاث طبعات من هذا الكتاب أسجل عنها الملاحظات التالية  
بإيجاز:

١- طبعة ليدن:

وقد طبعت في عام ١٨٨٨م بمدينة ليدن، ووضع لها الأستاذ جيرار دوس قوس  
مقدمة باللغة الألمانية، وجاء الكتاب النص العربي منه في ٧٢ صفحة وينتهي في  
الصفحة ٧١، أما الصفحة الأخيرة فقد جاء فيها ما يلي:

«تم هذا الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً، وقد نقلته من نسخة موجودة عند حضرة  
على بك فهمى نجل المرحوم رفاة بك رافع الطهطاوى وبها نقص فى وسطها تركت له  
بباضاً على قدره، وكتبها عبدالعزيز إسماعيل الأنصارى الطهطاني فى شهر جمادى  
الثانية سنة ١٢٩٥هـ.

تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية، وبنى هاشم تأليف الشيخ الإمام  
العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت أبى العباس أحمد بن على بن  
عبدالقادر بن محمد بن تميم المقرئ الشافعى تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه  
فسيح جنته، وأعاد علينا من فوائد علومه وبركته وجعله رفيقا من النبيين، والصديقين،  
والشهداء والصالحين على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والإختلال، والحمد لله  
وحده، وصلى الله على من لانبى بعده، محمد وآله وصحبه والتابعين، نقلت هذه النسخة  
من نسخة نقلت من خط المؤلف فى خامس عشر ذى القعدة سنة ١١٣١هـ واحد وثلاثين  
ومائة والف. كتبه الفقير على ابن السيد محمد الشيلاوى، غفر الله له ولوالديه،  
ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين».

وفى النسخة بعض الشروح البسيطة، وتوجد نسخة من هذه الطبعة فى مكتبة آية الله الحكيم العامة فى النجف الأشرف.

٢- طبعة مصر،

وتاريخ هذه الطبعة يعود إلى عام ١٩٣٧م فى أول اغسطس فى المطبعة الإبراهيمية فى مصر، وقد قدم الكتاب الشيخ محمود عرنوس القاضى بالمحاكم الشرعية المصرية، عرّف فيها المؤلف والكتاب بصورة مختصرة، وتقع فى ٦ صفحات قطع الربع، وأهدى الناشر إبراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام الكتاب إلى الدكتور على زكى العرابى باشا.

وجاء فى المقدمة المذكورة: «وكتاب التخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم وهو الذى تقدم له هذه المقدمة، وهو معتبر من فلسفة علم التاريخ ككتاب السخاوى المسمى الإعلام بالتوبيخ، فكلاهما كتاب فلسفى يدل على مقدرة مؤلفه».

والظاهر أنّ الناشر اعتمد على نفس النسخة التى اعتمد عليها الناشر لطبعة ليدن، إذ جاءت نفس الفقرات التى مرت فى نهاية طبعة ليدن، ويقع فى ٩٠ صفحة.

والحق الناشر بهذا الكتاب رسالة للجاحظ فى بنى أمية، وتقع فى ١٢ صفحة وقد ضمنها نقد معاوية ومن والاه.

٣- طبعة النجف،

وتاريخ هذه الطبعة عام ١٣٦٨هـ وقامت بطبعها المطبعة العلمية فى النجف الأشرف، وعنى بتصحيحها الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمى - عضو جمعية

الرابطة الأدبية فى النجف الأشرف - وقد صدرها بترجمة موجزة للمؤلف تقع فى صفحتين، ويقع الكتاب فى ٦٢ صفحة قطع الربع والحق بها رسالة الجاحظ فى بنى أمية المتقدمة الذكر، وتقع فى ٩ صفحات وجاء فى مقدمة طبع المطبعة العلمية مايلى:

«رات المطبعة العلمية من المستحسن إعادة طبع كتاب (النزاع والتخاصم) للمؤرخ الشهير المقرئى لندرته واحتياج الكثيرين إليه، مع العلم أنّ لدى صاحب المطبعة نسخة خطية ذات شأن، فكلفت آتئذ الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمى أن يقف على طبعه وتصحيحه، قلبى السيد الهاشمى هذا الطلب، وصار يقابل النسخة الخطية على النسخة المطبوعة فى القاهرة، والتي نشرها - السيد إبراهيم يوسف - صاحب مكتبة الأهرام فطبعت هذه النسخة القيمة مع المحافظة على تعليقات صاحب الفضيلة الأستاذ محمود عرنوس القاضى، فللاستاذين القاضى، والهاشمى جزيل الشكر والموفيقية. ١٥ رجب - ١٣٦٨هـ.

ولصلة الكتاب بعقائدنا، فقد تقرر أن يكون ضمن سلسلة مطبوعاتنا، وفعلاً تحقق ما صممنا عليه، وجعلنا الركيزة الأولى للكتاب طبعة ليدن، وعليها جرت هذه الطبعة، ورجائى أن يكون قد أدى خدمة كبيرة بهذا العمل الجليل، وأن يكون من حيث الطباعة والتصحيح ما يرضى القارئ الكريم، وقد الحقنا به تعليقاً من باب زيادة الفائدة. والله الموفق.

محمد السيد على بحر العلوم

# النزاع والتخاصم

الحمد لله المعطى ما شاء من شاء لا مانع لعطائه، ولا راد لمراده وقضائه، أحمدته بما هو أهله من المحامد، وأشكره على فضله المتزايد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معاند، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وخليته. اللهم صلّ عليه وعلى آله وصحابه ومحبيه، وأهل طاعته، وسلم، وشرف، وكرم.

أما بعد:

فإني كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جذم<sup>(١)</sup> رسول الله (ص) وقرب بنى هاشم وأقول: كيف حدثتهم أنفسهم بذلك وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من هذا الحديث مع تحكّم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم في أيام جاهليتها، ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله (ص) ومبالغتهم في آذاه، وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى أن فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم في الإسلام كما هو معروف مشهور، وأردد قول القائل:

كم من بعيد الدار نال مراده      وآخر داني الدار وهو بعيد

فلعمري، لا بعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا: «إنا من قريش» فيساوون في هذا الاسم قريش الظواهر، لأن قوله (ص): «الأئمة من قريش» واقع على كل قرشي<sup>(٢)</sup>.

(١) جذم كل شيء: أصله، والجمع: أجدام، وجذوم.

(٢) يقصد بقريش الظواهر مجموعة القبائل التي نزلت حول مكة من بنى الحارث وبنى محارب وبنى تميم وغيرهم. وحديث الأئمة من قريش رواه الطبراني والنسائي والبخاري في التاريخ.

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدعيه كل جيل معلوم، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس، فمنهم من ادعاه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم فإن كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة.

وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة، وتستحق بالقرابة، وتستوجب بحق العصبية، فليس لبنى أمية فى ذلك متعلق عند أحد من المسلمين.

وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة، فليس لهم فى السابقة قديم منكور، ولا يوم مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر.

#### ﴿ فصل فى أبى سفيان ومروان ﴾

فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوته النبى (ص) وفى محاربتة وفى اجلابه عليه وفى غزوه إياه، وعرفنا إسلامه كيف أسلم، وخلصه كيف خلص، على أنه إنما أسلم على يد العباس رضى الله عنه، والعباس هو الذى منع الناس من قتله وجاء به رديقاً<sup>(٢)</sup> إلى النبى (ص) وسأل أن يشرفه وأن يكرمه وينوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخبر غير منكور، فكان جزء ذلك من بنيه أن حاربوا علينا وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب<sup>(٤)</sup> حواسر<sup>(٥)</sup> وأرادوا الكشف عن عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت

(٢) رديقاً أى راكباً خلفه.

(٤) الأقتاب مفردتها قتب وهى الرجل الصغير.

(٥) حواسر أى مكشوفات وهو هنا يشير إلى نقل نساء آل البيت إلى يزيد بعد منبحة كربلاء.

ديارهم عنوة<sup>(٦)</sup> وبعث معاوية بن أبي سفيان إلى اليمن بسر بن أرطاة<sup>(٧)</sup> فقتل ابني عبيدالله بن العباس، وهما غلامان لم يبلغا الحلم، فقالت أمهما عائشة بنت عبدالله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما:

يامن احس بابنيّ الذين هما      كالدرتين تشظى عنهما الصدف  
انحى على ودجى طفلى مرهفة      مطرورة وعظيم الإثم يقترف<sup>(٨)</sup>

وقتلوا لصلب على بن أبي طالب تسعة، وصلب عقيل بن أبي طالب تسعة، ولذلك قالت نائحتهم<sup>(٩)</sup>:

عين جودى بعبرة وعويل      واندى إن نديت آل الرسول  
تسعة منهم لصلب على      قد اصيبوا وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون ان عقيلاً اعان معاوية على علي، فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبياً وقتلوا معه هانىء بن عروة لأنه آواه ونصره<sup>(١٠)</sup>.

- (٦) على بن الحسين هو على الأصغر كان مريضاً ولم يشارك في القتال يوم كربلاء واخذه رجال يزيد أسيراً. وهو الملقب بالإمام السجاد زين العابدين الإمام الرابع عند الشيعة.
- (٧) بسر بن أرطاة القرشى من رجال معاوية المتعصبين ضد على وآل البيت اختلف في تاريخ وفاته. انظر طبقات ابن سعد ج ٧. وانظر كتب التراجم.
- (٨) تشظى أى تشقق والودج عرق فى العنق وودجى أى عرقى ومطرورة أى محدودة وهذه الأبيات وردت ضمن أبيات أخرى لها فى الكامل لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودى والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر والكامل للمبرد. انظر احداث عام ٤٠هـ فى كتب التاريخ.
- (٩) هذه الأبيات منسوبة إلى بنت عقيل بن أبي طالب وهى ترثى شهداء كربلاء. انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤. وانظر مقاتل الطالبين للأصفهاني.
- (١٠) مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة قتلوا على يد عبيدالله بن زياد بالكوفة وكان الإمام الحسين قد ارسل مسلم إلى الكوفة لطلب البيعة من أهلها. انظر كتب التاريخ احداث عام ٦٠هـ.

قال الشاعر<sup>(١١)</sup>؛

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانىء فى السوق وابن عقيل  
ثرى بطلا قد هشم السيف رأسه وأخر يرمى من طمار قتيل

وأكلت هند كبد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب  
بين ثنيتي الحسين، ونبشوا زيدا وصلبوه والقوا رأسه فى عرصة الدار تطأه الأقدام  
وتنقر دماغه الدجاج<sup>(١٢)</sup> حتى قال القرشى؛

أطردوا الديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لاتطأه الدجاج

وقال شاعر بنى أمية<sup>(١٣)</sup>؛

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة  
ولم نر مهديا على الجذع يصلب

وقتلوا يحيى بن زيد وسموا قاتله ثائر آل مروان وناصر الدين<sup>(١٤)</sup>.

(١١) اختلف أهل السير فى صاحب هذه الأبيات فنسبها الدنيورى فى الأخبار الطوال إلى  
عبدالرحمن بن الزبير الأسدى أما الطبرى فنسبها إلى الفرزدق ونسبها الأصفهاني فى مقاتل  
الطالبين إلى عبدالله بن الزبير الأسدى والطمار المكان المرتفع.

(١٢) كهف النفاق يقصد به هنا أبو سفيان بن حرب والدمعاوية. وزيد هو ابن على بن الحسين الذى  
ثار على هشام بن عبدالملك وقتل وصلب.

(١٣) هو الأعور الطلبي حكيم بن عياش كان من خصوم على وممن يهجون آل البيت وهجاه الكميث  
شاعر آل البيت. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ١١١/٦.

(١٤) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ووالده زيد هو الذى ثار على هشام بن عبدالملك وقتل ثم  
صلب. وثار يحيى على الوليد بن يزيد وقتل وصلب ويروى أن أبا مسلم الخراساني انتقم من  
قتله بعد ذلك. انظر مقاتل الطالبين للأصفهاني. وانظر الكامل لابن الأثير ج ١٠٨/٥.



وضربوا على بن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين على ان تزوج بنت عمه الجعظرية التي كانت عند عبدالملك بن مروان.

وعلى ان نخلوه<sup>(١٥)</sup> قتل سليط وسموا ابا هاشم بن محمد بن علي<sup>(١٦)</sup> وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب ابا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة، وقتل مروان الحمار الإمام إبراهيم بن محمد بن علي ادخل راسه في جراب نورة حتى مات<sup>(١٧)</sup>. وقتلوا يوم الحرة<sup>(١٨)</sup> عون بن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الطف<sup>(١٩)</sup> مع الحسين ابا بكر ابن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الحرة الفضل بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، والعباس بن عتبة بن ابي لهب وعبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب. ومع ذلك كله فإن عبدالملك بن مروان ابو الخلفاء من بنى مروان أعرق الناس في الكفر لأن جده لأبيه الحكم بن ابي العاص لعين رسول الله (ص) وطريده وجده لأمه معاوية بن المغيرة بن ابي العاصى طرده رسول الله (ص)، ثم قتله على وعمار صبراً<sup>(٢٠)</sup>.

(١٥) نخلوه أى نسبوا إليه قتل سليط بن عبدالله بن عباس وإليه ينسب أبو مسلم الخراساني.

(١٦) سمه سليمان بن عبدالملك بسبب خوفه منه على الخلافة.

(١٧) جراب نورة أى جراب مملوء بالجير.

(١٨) يوم الحرة يوم عصت المدينة يزيد بن معاوية عام ٦٣هـ بعد مذبحه كربلاء واستباح فيها جنود يزيد نساء المدينة وخربوها. انظر تفاصيل هذه الواقعة الشنعاء والوصمة السوداء فى كتب التاريخ احداث عام ٦٣هـ.

(١٩) يوم الطف هو يوم كربلاء العاشر من محرم عام ٦١هـ.

(٢٠) عبدالملك بن مروان هو الخليفة الرابع فى دولة بنى أمية وأولاده هم الذين حكموا من بعده. انظر سيرته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ، ومروان والده تولى الحكم بعد يزيد وتنازل معاوية الثانى. أما الحكم بن العاص ومعاوية بن المغيرة بن ابي العاص كلاهما حلت عليه اللعنة والطرده من قبل الرسول (ص) بعد فتح مكة وعاد الحكم إلى الظهور على الساحة فى عهد عثمان بن عفان وكان له دوره فى الفتنة التى أودت بحياته كما كان له دوراً فى وقعة الجمل من قبل وهو الذى رمى طلحة بن عبيدالله بسهم فقتله كى يشعل نار الفتنة بين المسلمين. وسيأتى ذكر الحكم ومعاوية.

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه، هذا وبنو أمية قد هدموا الكعبة<sup>(٢١)</sup>، وجعلوا الرسول دون الخليفة<sup>(٢٢)</sup>، وختموا فى أعناق الصحابة<sup>(٢٣)</sup>، وغيروا أوقات الصلاة<sup>(٢٤)</sup>، ونقشوا أكف المسلمين، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله (ص) ونهبت الحرم ووطئت المسلمات فى دار الإسلام بالبيع فى أيامه<sup>(٢٥)</sup>.

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى أمية قال: كان عبد الملك جباراً لا يبالى ما صنع، وكان الوليد محنوثاً، وكان سليمان همة بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، فإذا قيل عدل قال: إن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلاً، ويتولاها بغير استحقاق، وكان رجلهم هشام، وقد صدق أبو جعفر، وكان يقال لهشام: الأحول السراق لأنه ما زال يدخل عطاء الجند شهراً فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة فلذلك قالوا: الأحول السراق، وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومى ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين فإن الحادى حدا به مرة فقال:

إن عليك أيها البختى أكرم من تمشى به المطى

فقال صدق قولك.

- (٢١) يشير المقرئى هنا إلى ضرب الأمويين الكعبة بالمنجنيق المرة الأولى عام ٦٤هـ. والمرة الثانية عام ٧٢هـ على يد الحجاج بن يوسف وذلك أثناء حركة ابن الزبير.
- (٢٢) المقصود أن معاوية والمروانيين من بعده سنوا سنة تقديس الحكام وربطهم بالشرع عن طريق طبقة الفقهاء التى اخترعوها وربط طاعتهم بطاعة الله وعدم رد قولهم أو مراجعتهم ثم تناولوا بعد ذلك على الرسول (ص) وبنى هاشم. وستأتى الإشارة لذلك.
- (٢٣) كان ذلك فى عام ٧٤هـ بعد القضاء على ابن الزبير حين قام الحجاج بوضع اختام الرصاص فى أعناق الصحابة. انظر كتب التاريخ.
- (٢٤) قام معاوية والمروانيين من بعده بتغيير الكثير من السنن التى سنها الرسول (ص) فيما يتعلق بالصلاة وغيرها ويروى: أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية. رواه أبى يعلى وابن أبى شيبه.
- (٢٥) الإشارة هنا إلى ما حدث يوم الحرة.

وقال مرة: والله لأشكون سليمان بن عبد الملك إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

وهذا ضعف شديد وجهل عظيم.

وكان هشام يقول «والله لأستحي من الله أن أعطي رجلاً أكثر من أربعة آلاف درهم».

وقدم هشام ابنه سعيداً على حمص فرمى بالنساء فكتب أبو الجعد الطائي إلى هشام مع خصى وأعطاه فرساً على أن يبلغ الكتاب وفيه،

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد أمددتنا بأمر ليس عنيماً  
طوراً يخالف عمراً في حليلته وعند راحة يبغى الأجر والدينا<sup>(٢٦)</sup>

فعرله وقال: يا ابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين، أعجزت أن تفجر فجور قريش قبل هذا؟ وقال: هذا لا يلي لى عملاً أبداً.

وحسبك من عبد الملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول: «ما أنا بالخليفة المستضعف، ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المأفون. وهؤلاء هم سلفه وأئمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام وتأسيسهم وتقدمهم نال تلك الرياسة، ولولا العادة المتقدمة والأجناد المجتدة والصنائع القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام، فالمستضعف عنده عثمان بن عفان، والمداهن عنده معاوية، والمأفون عنده يزيد بن معاوية، والضعيف لا يكون خليفة لأنه الذي ينال القوى منه عند انتشار الأمر عليه، والمداهن لا يكون إماماً، ولا يوثق منه بعقد، ولا بوفاء عهد، ولا بضمير صحيح ولا بغيب كريم، والمأفون لا يكون إماماً، وهذا الكلام نقض لسلطانه، وعداوة لأهله وإفساد لقلوب

(٢٦) البيتان من العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤/٤٤٨.

شيئته، وقررة عين عدوه، وعجز في رايه، فإنه لم يقدر على إظهار قوته، إلا بأن يظهر عجز أئمته. وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم وبنى عبدشمس بحيث أنه قال: إن هاشمًا وعبدشمس ولدا توأمين فخرج عبدشمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع أحدهما بجبهة الآخر فلما نُزعت دمي المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك. ويقال: إن عبدشمس وهاشمًا كانا يوم ولدا في بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال بعض العرب: إلا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد.

#### ﴿ جذور العداة ﴾

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصي وبين ابن أخيه أمية بن عبدشمس بن عبد مناف وسببها: أن هاشمًا كانت إليه الرفاة<sup>(٢٧)</sup> التي سنها جده قصي ابن كلاب بن مرة مع السقاية وذلك أن أخاه عبدشمس كان يسافر وقلما يقيم بمكة وكان رجلاً مقلًا وله ولد كثير فاصطلحت قريش على أن ولي هاشم السقاية والرفاة، وكان هاشم رجلاً موسرًا وكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنكم يأتكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته، وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به حفظ منكم أفضل ما حفظه جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثًا غبرًا من كل بلد على ضوامر كالقذاح وقد ازحضوا وتفلوا وقملوا وأرملوا فاقروهم واغنوهم وأعينوهم<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٧) الرفاة من الرغد أى الإعانة.

(٢٨) المقصود أن الوافدين على بيت الله الحرام قد أخذ منهم السفر ماأخذه فهزلوا من الجوع واتسخوا واحتاجوا.

فكانت قريش تترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشئ اليسير على قدرهم فيضمه هاشم إلى ما أخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس، فإن عجز كمله، وكان هاشم يخرج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش يترافدون، فكانوا أهل يسار فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية<sup>(٢٩)</sup>.

وكان هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تحضر زمزم، ثم يستقى فيها من الآبار التي بمكة فيشرب الحاج. وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ويطعمهم بمنى وبحرفة وجمع، فكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسمن والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم.

وكان هاشم يسمى عمرا وإنما قيل له «هاشم» لهشمه الثريد وهو أول من أطعم الثريد بمكة وكان أمية بن عبدشمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه، فغضب ونافر هاشمًا على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحمق الصحابي، وكان منزله عسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الضهري فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت في بني هاشم وبني أمية، ولم يكن أمية في

(٢٩) هي العملة البيزنطية السائدة بين العرب آنذاك.

نفسه هناك وإنما رفعه أبوه وبنوه وكان مضعوقا وكان صاحب عهار يدل على ذلك قول  
تفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبدالمطلب بن  
هاشم فنصر عبدالمطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

ابوك معاهر وأبوه عفاً وذاذ الفيل عن بلد حرام

وذلك أنّ أمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسيف  
واراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدى السهمى  
وكانوا أخواله وكان منيع الجانب شديد العارضة حمى الأنف أبى النفس، فقام دونهم  
وقال وصاح «اصبح ليل» فذهبت مثلاً ونادى «الا إنّ الضاعن مقيم»<sup>(٣٠)</sup>.

ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة:

مهلاً أمى فإن البغى مهلكة لا يكسبئك ثوباً شره ذكر  
تبدو كواكبه والشمس طالعة يصب فى الكأس منه الصاب والمقر<sup>(٣١)</sup>

وصنع أمية فى الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمرو بن  
أمية امراته فى حياة منه، والمقتيون فى الإسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم  
واستنكحوهن من بعد موتهم، وأما ان يتزوجها فى حياته ويبنى عليها وهو براء فإن هذا  
لم يكن قط.

(٣٠) الضاعن الراحل.

(٣١) وهب بن عبد مناف هو جد الرسول (ص) لأمه. والمقر الشيء المر.

وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية قد زاد في المقت درجتين ثم نافر حرب بن أمية عبدالمطلب بن هاشم من أجل يهودى كان فى جوار عبدالمطلب فما زال أمية يغرى به حتى قتل وأخذ ماله فى خبر طويل.

وتعمدت العداوة بين البيتين حتى قام سيّد بنى هاشم أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله (ص) بمكة يدعو قريشاً إلى توحيد الله تعالى جلت قدرته وترك ما كانت تعبد من دون الله فانتدب لعداوته (ص) جماعة بنى أمية منهم أبو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى أول سنة من الهجرة أو فى سنة اثنين وهو يحادّ الله ورسوله، ومنهم عقبه بن أبى معيط أبان بن عمرو بن أمية، وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله (ص) وإذا إلى أن قاتل يوم بدر فأتى به إلى رسول الله (ص) وقد أسر فأمر بضرب عنقه فجعل يقول:

يا ويلتى علام اقتل يا معشر قريش اقتل من بين هؤلاء!

فقال رسول الله (ص): لعدواتك لله ولرسوله.

فقال: يا محمد منك أفضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك، يا محمد من اللصبية؟

قال: النار وضرب عنقه.

وقيل: إن رسول الله (ص) أمر به فصلب، فكان أول مصلوب فى الإسلام.

وقال عطاء عن الشعبي: إنَّ رسول الله (ص) قال لعقبة بن أبي معيط يوم بدر: والله لأقتلنك.

فقبل اتقتله من بين قريش؟

قال: نعم إنه وطئ على عنقي وأنا ساجد، فلما رفعت حتى طننت أن عيئي قد سقطتا، وجاء وأنا ساجد بسلى شاة فألقاها على راسي، فأنا قاتله<sup>(٣٢)</sup>.

ومنهم الحكم بن أبي العاصي بن أمية وكان عاراً في الإسلام وكان مؤذياً لرسول الله (ص) بمكة يشتمه ويسمعه ما يكره، فلما كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفاً من القتل. فلم يحسن إسلامه وكان مغموصاً عليه في دينه<sup>(٣٣)</sup>.

ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية، وكان يطالع الأعراب والكفار بأخبار رسول الله (ص)، وبينما رسول الله (ص) يمشى ذات يوم مشى الحكم خلفه فجعل يختلج بأنفه وفمه كأثه يحاكي رسول الله (ص)، يتفكك ويتمايل فالتفت رسول الله (ص) فرآه، فقال له: كن كذلك، فما زال بقية عمره على ذلك.

واطلع يوماً على رسول الله (ص) وهو في حجرة بعض نسائه فخرج إليه بعنزة فقال: من عذيري من هذا الوزغة لو أدركته لفقات عينه<sup>(٣٤)</sup>.

(٣٢) انظر سيرة ابن هشام ج ١.

(٣٣) مغموصاً أي مطعوناً محقراً.

(٣٤) انظر انساب الأشراف للبلاذري ج ١/ ١٢٤. وانظر مسلم كتاب الآداب والبخاري كتاب الاستئذان والديات.



وقال زهير بن محمد عن صالح بن ابي صالح قال: حدثني نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه قال: كنا مع النبي (ص) فمر الحكم بن ابي العاصي فقال النبي (ص): ويل لأمتي مما في صلب هذا<sup>(٣٥)</sup>.

ثم إنَّ النبي (ص) لعنه وما ولد وغرَّبه عن المدينة فلم يزل خارجاً عنها بقية حياة رسول الله (ص) وخلافة ابي بكر وعمر فلما استخلف عثمان رده إلى المدينة وولده فكان ذلك مما انكره الناس على عثمان، وكان اعظم الناس شؤماً على عثمان فإتَّهم جعلوا إدخاله المدينة بعد طرد النبي إياه وبعد امتناع ابي بكر وعمر من ذلك اكبر الحجج على عثمان ومات في خلافته فضرب على قبره فسقطاً<sup>(٣٦)</sup>.

وقد قالت عائشة لمروان بن الحكم: أشهد أنَّ رسول الله (ص) لعن اباك وانت في صلبه<sup>(٣٧)</sup>.

(٣٥) رواه الهيثمي. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن ابي سفيان لابن حجر الهيثمي ملحق بكتابه الصواعق المحرقة.

(٣٦) نقل عن بعض فقهاء التبرير أن الحكم ذهب باختياره، ولم يطرده الرسول إلا أن كل الروايات تؤكد وقوع الطرد. انظر منهاج السنة لابن تيمية ج ٣/ ١٩٦ و ٢٣٥. وانظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي. وقال ابن حزم، ونفى رسول الله (ص) لم يكن حدًا واجبًا ولا شريعة على التأييد. وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي. والتوبة مبسطة. فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة. انظر الفصل في الملل والنحل ج ٤/ ١٥٤. وتامل قوله بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام فكان المخالفين في هذا ليسوا من أهل الإسلام.

(٣٧) روايات لعن الحكم وأولاده وردت في عدة مصادر ففي رواية البزار، لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه. ويروى عن الحسين قوله في مروان: فو الله لقد لعنك الله على لسان نبيه (ص) وانت في صلب ابيك. وعن ابن الزبير قال: ورب الكعبة لقد لعن رسول الله (ص) فلانا - الحكم - وما ولد من صلبه. انظر تطهير الجنان واللسان. وقال ابن الأثير، رويت اخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه رواها الحفاظ وفي اسانيدها كلام. الكامل: ج ٤/ ١٥.

وقال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم:

إنّ اللعين أباك فارم عظامه      إنّ ترم ترم مخلجاً مجنوناً  
يضحى خميص البطن من عمل التقى      ويظلل من عمل الخبيث بطينا

وكان الحكم هذا يقال له؛ طريد رسول الله ولعينه، وهو والد مروان بن الحكم الذى صارت الخلافة إليه بالغبلة وتوارثها بنوه من بعده، وكان رجلاً لا فقه له، ولا يعرف بالزهد، ولا برواية الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعده همّة، وإنّما ولى رستاقا من رساتيق داربجرد لأبن عامر، ثم ولى البحرين لمعاوية، وقد كان جمع اصحابه ومن تابعه ليبايع ابن الزبير حتى رده عبيدالله بن زياد وقال يوم مرج راهط والرؤوس تنبذ عن كواهلها.

وماذا لهم غير حين النفوس      س أى غلامى قريش غلب

وهذا كلام من لا يستحق ان يلى ربعاً من الأرباع ولا خمساً من الأخماس.

فكان مروان أول من شق عصا للإسلام بغير تاويل وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وام خالد يومئذ عنده؛ اسكت يا ابن الرطبة فكان حنفة فى هذه الكلمة<sup>(٣٨)</sup>.

وكتب عبدالملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية؛ من عبدالملك امير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال؛ الطلقاء ولعناء رسول الله (ص) على سائر الناس والذى نفسى بيده إنها لأمر لا يقرّ قرارها.

(٣٨) لقي مروان حنفة على يد ام خالد خنقا بالوساده وقصته مشهورة فى كتب التاريخ. انظر احداث عام ٦٥هـ.

ومنهم، عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن أمية أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل بيدر كافرًا قتله حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، وعتبة هذا هو أبو هند بنت عتبة التى لاكت كبد حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، ثم لفظتها واتخذت مما قطعت منه مسكين ومعضدين وخدمتين واعطت وحشيًا قاتل حمزة، حليًا كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت فى أصابع رجليها كل ذلك شماتة بحمزة رضى الله عنه من أجل انه قتل أباه عتبة رأس الكفر فى يوم بدر وقيل بل قتله عبيده بن الحارث بن عبدالمطلب وانشدت هند:

عيني جودا بدمع سرب      على خير خندق لم ينقلب  
تداعى به رهطه قصره      بنو هاشم وبنو المطلب

وقيل: إنَّ عليًا لما فرغ من الوليد بن عتبة مال مع عبيدة على عتبة فقتلاه جميعًا، وهند هذه امر رسول الله (ص) يوم فتح مكة بقتلها فأسلمت، ولما حضرت مع النساء لتبايع بيعة الإسلام كان مما قال لهن رسول الله (ص) ولا تقتلن أولادكن، فقالت ربيناهم يا محمد صغارًا وقتلتهم كبارًا. وهى أم معاوية بن أبى سفيان الذى قاتل على بن طالب رضى الله عنه وأخذ الخلافة من الحسن بن على رضى الله عنه واستلحق زياد بن سمية من زنية واستخلف على الأمة ابنة يزيد القرود ويزيد الخمور (٣٩).

(٣٩) يزيد القرود ويزيد الخمور يقصد بهما ولع يزيد بالقرود وكان له قرد يلهو به مع سكره الدائم وعشقه للخمور. انظر سيرة يزيد فى كتب التاريخ. وانظر حوادث فتح مكة فى سيرة ابن هشام. وسيرة معاوية وتأمرة على الحسن بدس السم له مشهورة بعد أن سلم له بالحكم شريطة أن يعود إليه بعد وفاته لكن معاوية اخترع ولاية العهد وأول ملكية فى الإسلام وجعل يزيد الفاسق يلى أمر المسلمين من بعده أن تخلص من الحسن. انظر الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر وكتب التاريخ والتراجم.

ومنهم: الوليد بن عتبة بن ربيعة وقتل ببدر كافراً قتله على رضى الله عنه،  
والوليد هذا هو خال معاوية.

ومنهم: شيبه بن ربيعة بن عبدشمس عم هند ام معاوية، وكان يجتمع مع قريش  
فيما تكيد رسول الله (ص) من الأذى وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه.

ومنهم: ابو سفيان صخر بن حرب بن أمية قائد الأحزاب الذى قاتل رسول الله  
(ص) يوم احد وقتل من خيار اصحابه سبعين ما بين مهاجرى وانصارى، منهم اسد الله  
حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله (ص) فى يوم الخندق ايضاً وكتب إليه:

«باسمك اللهم احلف باللات والعزى وساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك اريد  
استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقاءنا ولك منى كيوم احد».

وبعث بالكتاب مع أبى اسامة الجشمى فقراه على النبى (ص) أبى بن كعب رضى  
الله عنه فكتب إليه رسول الله (ص): «قد اتانى كتابك وقديماً غرك يا احمق بنى غالب  
وسفيهم بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ماتريد ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك  
يوم اكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل يا سفيه بنى غالب.

ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله (ص) لفتح مكة فأتى العباس بن  
عبدالمطلب رضى الله عنه رسول الله (ص) وقد أردفه وذلك أنه كان صديقه ونديمه فى  
الجاهلية، فلما دخل به على رسول الله (ص) سأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله (ص)  
قال له: ويلك يا ابا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبى أنت وامى

ما اوصلك واجملك واكرمك واللّه لقد ظننت أنّه لو كان مع اللّه غيره لقد اغنى عنى شيئاً.

فقال: يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انى رسول اللّه؟ فقال: بأبى انت وامى ما اوصلك واجملك واكرمك! اما هذه فضى النفس منها شىء.

فقال له العباس: وبيك إشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فشهد واسلم، فهذا حديث إسلامه كما ترى.

واختلف فى حس إسلامه فقيل: إنّه شهد حينما مع رسول اللّه (ص)، وكانت الأزمات معه يستقسم بها، وكان كهذا للمنافقين وإنّه كان فى الجاهلية زنديقا.

وفى خبر عبد اللّه بن الزبير أنّه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان: إيه بنى الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر و لم يسبق منهم مذکور<sup>(٤٠)</sup>

فحدث به ابن الزبير أباه فلما فتح اللّه على المسلمين، فقال الزبير: قاتله اللّه بأبى إلا نفاقا أو لسنا خيراً له من بنى الأصفر.

---

(٤٠) كان أبو سفيان من المؤلفة قلوبهم هو وولده معاوية واستمرا على ذلك حتى جاء عمر فالغى نصيب المؤلفة وعطل الحكم الشرعى فارتفع مقام أبو سفيان وولده. والحق أن نه هو وولده لا تؤكّد إسلامه. انظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

وذكر عبدالرازق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول - بالغين - عن ابن ابجر قال، لما بويح لأبي بكر جاء أبو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال:

اغلبك على هذا الأمر أقل بيت في قريش، أما والله لأملأها خيلاً ورجالا إن شئت؟

فقال على: ما زلت عدوًّا للإسلام وأهله فما ضرَّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً<sup>(٤١)</sup>.

وذكر المدائنى عن أبى زكريا العجلانى عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: حج أبو بكر ومعه أبو سفيان بن حرب فكلم أبو بكر أبا سفيان فرفع صوته، فقال أبو قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافة إنَّ الله بنى بالإسلام بيوتا كانت غير مبنية وهدم به بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية، وبيت أبى سفيان مما هدم.

فليت شعرى بعد هذا بأى وجه يبني بيت أبى سفيان بعدما هدمه الله؟

وروى عن الحسن: أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال:

«صارت إليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية فإنما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار.

فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل.

(٤١) انظر حوادث سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة النبي فى كتب التاريخ. وانظر السيف والسياسة للمعلق.

وأبو سفيان هذا هو أبو معاوية ولم يزل بعد إسلامه هو وابنه معاوية من المولفة<sup>(٤٢)</sup>.

ومنهم: معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو الذي جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل، فلما انهزم يوم أحد دخل على عثمان بن عفان ليجيزه، وكان رسول الله (ص) قد أمر بطلبه فأخرج من دار عثمان وأتى به رسول الله (ص) فوهبه لعثمان، وأقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن فجهزه عثمان وسار في اليوم الرابع.

فقال رسول الله (ص): إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه، فأصابوه فأخذه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فقتلاه، وقيل: بل قتله على رضى الله عنه<sup>(٤٣)</sup>.

ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان، فعبد الملك بن مروان أعرق الناس في الكفر، لأن أحد أبويه الحكم بن أبي العاصى لعين رسول الله (ص) وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة.

ومنهم: حمالة الحطب واسمها أم جميل بنت حرب بن أمية كانت تحمل اغصان العضاة والشوك فتطرحها على طريق رسول الله (ص).

قاله الضحاك عن ابن عباس، فقال مجاهد: حمالة النميمة تحطب على ظهرها وإياها عنى الله تعالى بقوله في سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ۚ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ (٥)﴾.

(٤٢) أى حتى جاء عمر.

(٤٣) انظر أحداث غزوة أحد في سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

قيل: عنى أنّ فى جيدها سلسلة من نار، اى من سلاسل جهنم، والجيد: العنق، ولما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ۚ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ (٥)﴾. قالت امراة ابي لهب: قد هجانى محمد والله لأهجوته، فقالت: مذمماً قلينا. ودينه ايينا. وامره عصينا.

واخذت فهراً لتضربه به فأعشى الله عينها عنه وردّها بغیظها، ولم تزل على كفرها حتى هلكت (٤٤).

وما أحد من هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم إلا وقد بذل جهده فى عداوة رسول الله (ص) وبالغ فى اذى من اتبعه وآمن به، ونالوا منهم من الشتم وأنواع العذاب حتى فروا منهم مهاجرين إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، وأغلقت أبوابهم بمكة فباع ابو سفيان ابن حرب بعض دورهم وقضى من ثمنها ديناً عليه.

وهموا بقتل رسول الله (ص) غير مرّة وتناظروا فى امره ليخرجوه من مكة او يقيّدوه ويحبسوه حتى يهلك او يندبوا لقتله من كل قبيلة رجلاً حتى يتفرّق دمه فى القبائل.

وبالغ كل أحد منهم فى ذلك بنفسه وما له واهله وعشيرته، ونصب لرسول الله (ص) الحبائل بكل طريق سراً وجهرًا ليقتله، فلما اذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة ومعه صاحبه ابو بكر إلى غار ثور، جعلوا لمن جاء بهما او قتلها ديتهما ويقال: جعلوا له مائة بغير، ونادوا بذلك فى أسفل مكة واعلاها.

كل ذلك حسداً منهم لرسول الله (ص) وبغياً ويأبى الله إلا تأييد رسول الله (ص)

(٤٤) انظر قصة حمالة الحطب فى سيرة ابن هشام وكتب التفسير. سورة اللهب.



وإعلاء كلمته حتى صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وظهر أمر الله وهم كارهون - كما ذكرت ذلك ذكرًا شافيًا في كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنبياء والأحوال والحفدة والمتاع (ص) والله در من قال:

عبد شمس قد اضرمت لبنيها شم حريًا يشيب منها الوليد  
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلى وللحسين يزيد

وما الأمر إلا كما قال الأخطل:

إنَّ العداوة تلقاها وإن قدمت

كالعز يكمن أحيانا ويتشر<sup>(٤٥)</sup>

﴿ فصل في ذوى القربى ﴾

واقول: هذا رسول الله (ص) قد أبعد بنى أمية عنه وأخرجهم من ذوى قرياه - كما خرجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى فى كتاب فرض الخمس فقال:

«حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص) فقلنا: يا رسول الله أعطيت بنى المطلب وتركنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله (ص): إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد.»

وقال الليث: حدثنى يونس وزاد قال جبير: ولم يقسم النبى (ص) لبني عبد شمس ولا لبني نوفل.

(٤٥) العر - بفتح العين وضمها، الجرب. والبيت ورد فى الكامل وللمبرد ج ٢/ ٣١٠. وانظر ديوان الأخطل.

قال: ابن إسحاق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأُم عاتكة بنت مرة وكان نوفل أخاهم لأبيهم.

وذكره البخارى فى مناقب قريش ايضاً وقال فى غزوة خيبر: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنّ جبير بن مطعم اخبره قال: أتيت انا وعثمان إلى النبي (ص) فقلنا: أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهو بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير ولم يقسم النبي (ص) لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئاً.

وقد خرج ابو داود هذا الحديث من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال: حدثنى جبير بن مطعم أنّ رسول الله (ص) لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس، كما قسم لبنى هاشم ولبنى المطلب.

قال: وكان ابو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله (ص) غير أنّه لم يكن يعطى قريى رسول الله (ص) كما كان يعطيهم رسول الله (ص)، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه<sup>(٤٦)</sup>.

واعلم أنّ قوله عن ابى بكر: إنّه لم يكن يعطى ذوى القريى كما كان النبي (ص) يعطيهم إنّما هو مما كان (ص) يعود به عليهم من سهمهم، وكانت حاجة المسلمين أيام ابى بكر أشد لا أنّه منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله تعالى ورسوله (ص) لهم فقد اعاده الله من ذلك<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٦) الثابت ان حكم الخمس الذى كان يقسم لذوى القريى وهم بنى هاشم وبنى عبد المطلب قد

عطل ولا زال معطلا. والطائفة الوحيدة التى تعمل به وتطبقه هى الشيعة.

(٤٧) انظر ملحق الكتاب وفيه تعليق على هذا الكلام.

وخرَّج أبو داود من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيَّب قال: أخبرني جبير بن مطعم قال: فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله (ص) سهم ذي القري في بني هاشم وبني المطلب، وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا رسول الله (ص) فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة؟

فقال رسول الله (ص): إنا وبني المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه .

وخرَّجه إسحاق بن راهويه عن الزهري عن ابن المسيَّب عن جبير مثل ما تقدّم، وفيه قال: فقسم رسول الله (ص) سهم خمس الخمس من القمح والتمر والنوى .

وقال الحسن بن صالح عن السدي في ذي القري: هم بنو عبد المطلب.

وخرج النسائي من حديث سفيان بن عيينة عن قيس بن مسلم قال: سألت الحسن بن محمد عن قوله تعالى: «واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمس» قال: هذا مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة.

قال: اختلفوا في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله (ص): سهم الرسول، وسهم ذي القري، فقال قائل: سهم الرسول للخليفة من بعده، وقال قائل: سهم ذي القري لقراة الرسول، وقال قائل سهم ذي القري لقراة الخليفة، فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله، فكان ذلك في خلافة أبي بكر وعمر (٤٨).

(٤٨) يشير المقرئ هنا إلى تعطيل حكم الخمس وصرفه في غير مصارفه الشرعية بتوجيه من الحكام.

وقد روى عن بعض طرق ابن إسحاق عن الزهري عن ابن المسيب أنّ عثمان وجبير بن مطعم كلّما رسول الله (ص) فى سهم ذى القربى وقالوا: قسّمته بين بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف ونحن وبنو المطلب إليكم فى النسب سواء.

فقال رسول الله (ص): «إنّا وهم لما نزل فى الجاهلية شيئاً واحداً وكانوا معنا فى الشعب كذا» وشبك أصابعه.

وكان من حديث الشعب على ما ذكر محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة فنذكر ابن إسحاق أن النبى (ص) لما مضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافة على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم انفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش إلا سبيل إلى محمد (ص)، معهم اجمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب إلا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة.

ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً.

وقال ابن عقبة: واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله (ص) علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم ومن فعله إيماناً و يقيناً.

فلما عرفت قريش أنّ القوم منعوا رسول الله (ص) اجتمع المشركون من قريش وأجمع رأيهم؛ إلا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق؛ أن لا يقبلوا من بنى هاشم أبداً صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا تركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص) (٤٩).

وذكر ابن إسحاق القصة في دخولهم الشعب، وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراحتهم لصحيفتهم الظالمة.

قال موسى بن عقبة؛ فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصي، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم، وراوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، وأجمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله عز وجلّ على صحيفتهم التي المكر فيها برسول الله (ص) الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، فلم تترك اسماً لله عز وجلّ فيها إلا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم.

وأطلع الله عز وجلّ رسوله (ص) على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لأبي طالب فقال أبو طالب؛ لا والثواقب ما كذبتني، وانطلق يمشى بعصايبه من

(٤٩) انظر سيرة ابن هشام وهي شرح لسيرة ابن إسحاق.

بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) فتكلم أبو طالب فقال:

قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعلها أن يكون بيننا صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أنّ الرسول مدفوع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فأنما قطعنا بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكه قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال أبو طالب إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف إن ابن أخى قد أخبرنى فلم يكذبنى أنّ الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحي لكل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتهم أو استحيتهم قالوا قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ص) قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحراً عن صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ماكانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله (ص) والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه، فقال أولئك النفر من بنى عبدالمطلب: إنّ أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وإنما نعلم أنّ الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس الله ما فيها من اسم له. وما كان من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟

فقال النفر من بنى عبد مناف وبنى قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى

هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده فى رجال من اشرافهم ووجوههم: نحن براء مما فى هذه الصحيفة، فقال أبو جهل: هذا امر قضى بليل قال موسى بن عقبة: فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله (ص) ورهطه فعاشروا وخالطوا الناس (٥٠).

فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله (ص) القرابة فى النسب وحدها قرابة معتبرة فى احكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينية فإنه كما قد رايت اخرج بنى أمية من ذوى القربى مع كونهم بنى ابيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له فى دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة.

وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته وأنهم لم يربؤوا بأنفسهم عن نفسه بل امدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس ودخلوا معه الشعب مؤمنهم وكافرهم، فالؤمن ديننا والكافر حمية.

وتأمل ذلك يظهر لك منه فائدتان.

إحدهما: أنّ العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين. والثانية: أنّ مجرد القرابة ليس بشيء وقد قيل اقرب الوسائل المودة وابتعد النسب البغضاء قال:

وارى القرابة لا تقرب قاطعاً وارى المودة أكبر الأسباب

وقال الأعشى:

ولا تطلبين الود من متباعد ولا تأمنن ذى بغضة إن تقربا  
فإنَّ القريب من يقرب نفسه لعمر أيبك الخير لا من تنسبا

فإذا أقرب الوسائل المودة، وأبعد النسب العقوق، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات، ١٠. فقاربت ولاية الإسلام بين الغرباء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ هود: ١١. فباعد به بين القرابة.

﴿فصل فى استحقاق بنى امية للخلافة﴾

ثم إنى أقول يا عجباً كيف يستحق خلافة رسول الله (ص) على أمته شرعاً من لم يجعل له حقاً فى سهم ذى القربى أم كيف يقيم دين الله من قاتل رسول الله (ص)، ونابذه وكأيدته وبذل جهده فى قتله وليت إذ ولى بنو أمية الخلافة عدلوا وانصفوا بل جاروا فى الحكم وعسفوا واستأثروا بالضىء كئله وحرموه بنى هاشم جملة وزادوا فى العتو والتعدى حتى قالوا إنما ذو القربى قرابة الخليفة منهم وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بنى أمية، فلما قام بالأمر أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المنعوت بالسفاح، وقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم آخر خلائف بنى أمية وأزال دولتهم دخل عليه مشيخة من أهل الشام، فقالوا والله ما علمنا أن لرسول الله (ص) قرابة يرثونه إلا بنى أمية حتى وليتم فقال إبراهيم بن مهاجر:



أيها الناس اسمعوا أخبركم      عجبنا زاد على كل عجب  
عجبنا من عبد شمس إنهم      فتحوا للناس أبواب الكذب  
ورثوا أحمد فيما زعموا      دون عباس وعبدالمطلب  
كذبوا ولله ما نعلمه      يحرز الميراث إلا من قرب

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يوماً أعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد؛  
ارسولك أفضل أم خليفتك؟ يعرض بأنَّ عبدالملك بن مروان بن الحكم أفضل من رسول  
الله (ص) فلما سمعه جبلة بن زحر قال؛ لله على الاصلى خلفه ابداً وإن رأيت من  
يجاهده لأجاهدنه معه، فخرج مع عبدالرحمن بن الأشعث وقتل معه.

ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج في كفره ابن شقى الحميرى؛ فإنه قام بمجلس  
هشام بن عبدالملك، وقال أمير المؤمنين خليفة الله وهو أكرم على الله من رسوله فأنت  
خليفة ومحمد رسول الله، وحتى أن يوسف بن عمر عامل هشام قال في خطبته يوم  
الجمعة إنَّ أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء على وصاحبه الزنجي  
يعنى عمار بن ياسر رضى الله عنه، فهذا كما ترى وإلى الله المشتكى.

وقد خرج الحاكم من حديث سفيان عن ابى إسحاق عن عمر وذى مر عن على بن  
ابى طالب رضى الله عنه فى قوله عز وجل؛ «وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ» [إبراهيم؛ ٢٨] قال؛  
هما الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابره  
يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قال الحاكم؛ هذا حديث صحيح.

وسئل على رضى الله عنه عن بنى امية وبنى هاشم فقال هم اكثر وانكر وامكر،  
ونحن افصح واصبح واسمح.

وقال ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا حشرج بن نباتة قال حدثنى سعد بن جمهان  
قلت لسفيينة ان بنى امية يزعمون ان الخلافة فيهم، فقال كذب بنو الزرقاة بل هم ملوك  
من اشد اشد الملوك وأول الملوك معاوية.

وما زلت طول الأعوام الكثيرة أعمل فكرى فى هذا وأشباهه التى يطول ذكرها  
واذاكر به من ادركت من مشيخة العلم ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار فلا أجد  
فى طول عمرى سوى رجلين؛ إما رجل عراه ما عرانى وساءه ماقد دهانى فهو يحذو فى  
المقال حذوى ويشكو من الألم شكواى.

وإما رجل يرتع فى ميدان تقليده ويجول فى عرصات تهوره وتفنيده، فلا يزيدنى  
على التهويل والهدر الطويل إلى ان اتضح لى والحمد لله وحده سبب اخذ بنى امية  
الخلافة ومنعها بنى هاشم، وذلك ان اعجاز الأمور لا تزال أبداً تالية لصدورها، وإلا  
سافل من كل شىء تابعة لأعاليها وكل أمر كان خافياً إذا انكشف سببه زال التعجب منه،  
وما بعد على من سبب اخذ بنى امية الخلافة وتقدمهم فيها على بنى هاشم إلا من أجل  
الاعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك، وقلة البحث عن غوامضه وإن الشىء لم يوضع  
فى موضعه وإنما سلك فيه الكافة إلا قليلاً مذهب التعصب.

﴿فصل فى عمال الرسول (ص) من بنى امية﴾

والواجب على العاقل بعد معرفة ماخضى من السبب الاذعان والتسليم وترك  
الاعتراض فماذا بعد الحق إلا الضلال وذلك انه لا خلاف بين أئمة الحديث ونقاد

الأخبار وعلماء السير والآثار، أن الرسول (ص) توفى وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أحد من أسلم يوم فتح مكة وأنه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسوله (ص) عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل فأقر أبو بكر عتابًا حتى ماتا في يوم واحد.

وكان (ص) قسم اليمن بين خمسة رجال خالد بن سعيد على صنعاء والمهاجر بن أبي أمية على كندة وزيايد بن ليبيد على حضرموت ومعاد بن جبل على الجند، وأبا موسى الأشعري على زبيد ورمع وعدن، فكان عامل رسول الله (ص) على صنعاء اليمن كما تقدم خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بعثه (ص) إليها سنة عشر من الهجرة، وقد مات باذام ليكون على صدقات اليمن، فتوفى رسول الله (ص) وخالد على اليمن.

وكان أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية على البحرين برها وبحرها منذ عزل العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية، وقيل بل مات رسول الله (ص) والعلاء على البحرين وكان عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية على ايماء وخيبر وتبوك وفدك، فلما توفى رسول الله (ص) رجع خالد بن سعيد وأبان وعمرو عن عمالتهم.

فقال أبو بكر ما لكم رجعتن عن عمالتكم ما أحد احق بالعمل من عمال رسول الله (ص) ارجعوا إلى أعمالكم فقالوا نحن بنو أبي احيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (ص) أبدًا، ثم مضوا إلى الشام وقاتلوا فقتلوا في مغازيها، فيقال ما فتحت بالشام كورة من كور الشام إلا وجد عندها رجل من بنى سعيد بن العاصي ميتًا.

وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية على نجران فمات رسول الله (ص) وهو عليها

وقيل بل كان على نجران لما توفى رسول الله (ص) وعمرو بن حزم بن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري.

قال الواقدي عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبدالعزیز رحمه الله أنه قال توفى رسول الله (ص) وأربعة من بنى أمية عماله عتاب بن اسيد على مكة، وابان بن سعيد بن العاصي على البحرين وخالد بن سعيد على صنعاء، وأبو سفيان بن حرب على نجران (٥١).

قال الواقدي: اصحابنا مجمعون على ان رسول الله (ص) قبض وأبو سفيان حاضر.

وقال ابن الكلبي: كان أبو سفيان غائباً فلما قدم قال: كيف رضيتم يا بني عبد مناف ان يلى امركم غيركم وقوم يقولون ان رسول الله (ص) ولى أبا سفيان صدقات خولان ونخلة وولى يزيد بن أبى سفيان على نجران والله اعلم.

وكان على جرش سعيد بن القشب الأزدي حليف بنى أمية، فمات رسول الله (ص) وهو عليها وكان المهاجرين أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها على صدقات كندة والصدف، ثم ولاه أبو بكر اليماني.

وكان عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي حين وفاة

-----  
(٥١) انظر التعليق على هذا الكلام في الملحق. والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ولى

قضاء بغداد له المغازي والسير توفى عام ٢٠٧هـ.

رسول الله (ص) على عمان بعدما بعثه النبي (ص) على سرية نحو الشام إلى اخوال أبيه العاصي بن وائل من بلى يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، ثم امده رسول الله (ص) بجيش فيه ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فصلوا خلفه (٥٢).

ثم عمل عمرو بن العاصي بعد رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وكان على الطائف عثمان بن ابي العاصي بن بشر بن عبد دهمان الثقفي ومات رسول الله (ص) وهو عليها.

فإذا كان رسول الله قد اسس هذا الأساس وأظهر بنى امية لجميع الناس بتولييتهم اعماله فيما فتح الله عليه من البلاد كيف لا يقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يتحد فى الولاية املهم؟.

ام كيف لا يضعف امل بنى هاشم وينقبض رجاؤهم ويقصر املهم وكبيراهم العباس بن عبدالمطلب وابن اخيه على بن ابي طالب رضى الله عنهما يريد احدهما استعمال رسول الله (ص) فى مرض موته عن هذا الأمر هل هو فيهم ام فى غيرهم ويأبى الآخر ذلك.

كما اخرج البخارى من حديث الزهرى قال اخبرنى عبدالله بن كعب بن مالك الأنصارى ان عبدالله بن عباس آخبره ان على بن ابي طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله (ص) فى وجعه الذى توفى فيه، فقال الناس يا ابا الحسن كيف أصبح -

-----  
(٥٢) الغزوة المشار إليها هنا هى غزوة ذات السلاسل. انظر سيرة ابن هشام والبخارى كتاب الفضائل باب فضائل ابي بكر وشرح الحديث فى فتح البارى ج ٧.

رسول الله (ص) قال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فقال له أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنى والله لأرى رسول الله (ص) يتوفى من وجعه هذا وإنى لا أعرف وجوه بنى عبدالمطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله (ص) فلنساله فى هذا الأمر إن كان فىنا علمنا ذلك وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال على إنا والله لئن سالناها رسول الله (ص) فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإنى والله لا اسألها من رسول الله (ص) (٥٣).

ورواه محمد بن إسحاق عن الزهرى إلا أنه لم يذكر ما قال فى العصا، وزاد فى آخره فتوفى رسول الله (ص) حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

وفى رواية: وخلا العباس بعلى، فقال له: هل تعلم أن رسول الله (ص) أوصى إلى غيرك بشيء؟ فقال على: اللهم لا، فخرج العباس على بغلة له حتى أتى عسكر أسامة بن زيد فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما، فقال: هل أوصاكم رسول الله (ص) بشيء قالوا: لا، فرجع إلى على فقال: إن رسول الله (ص) مقبوض فامدد يدك أبايعك، فيقال عم رسول الله (ص) بايع ابن عم رسول الله وبيابيعك أهل بيتك فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر فقال: يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا يا عم؟

وفى رواية أن العباس قال لعلى هلم يدك أبايعك، فقال إن لى برسول الله شغلا ومن ذاك الذى ينازعنا هذا الأمر؟

ورواية البخارى وعبدالرزاق أثبت، وقال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبد الله بن أخى الزهرى، قال سمعت عبد الله بن حسن يحدث عمى الزهرى

-----  
(٥٣) انظر كتب التاريخ فترة وفاة النبى (ص) وسيرة ابن هشام.

يقول حدثتني فاطمة بنت الحسين قالت لما توفى رسول الله (ص) قال العباس يا علي قم حتى ابايعك ومن حضر فإن هذا الأمر إذا كان لم يرد مثله، والأمر في أيدينا.

فقال علي واحد يطمع فيه غيرنا.

فقال العباس، أظن والله سيكون.

فلما بويع لأبي بكر ورجعوا إلى المسجد سمع علي التكبير. فقال: ما هذا؟ فقال العباس هذا ما دعوتك إليه فابيت علي؟ فقال علي: أكون هذا؟ فقال العباس ما رد مثل هذا قط.

فقال محمد بن عمر الواقدي قد خرج أبو بكر من عند النبي (ص) حين توفى وتخلف عنده علي والعباس والزيير، فذلك حين قال العباس هذه المقالة، وأخرجه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري بمعناه، قال عبدالرزاق وكان معمر يقول لنا أيهما كان أصوب عندكم رأياً فنقول: العباس فيأبى ثم قال: لو أن علياً سأله عنها فأعطاه إياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا.

قال عبدالرزاق فحدثت به ابن عيينة فقال: قال الشعبي لو أن علياً سأله عنها كان خيراً له من ماله وولده.

وروى إسماعيل بن خالد عن الشعبي قال: قال العباس لعلي رضي الله عنهما حين مرض النبي (ص) إني أكاد أعرف في وجه رسول الله (ص) الموت فانطلق بنا إليه نسأله من يستخلف فإن استخلف منا فذاك وإلا أوصى بنا، فقال علي للعباس: كلمة

فيها جفاء فلما قبض النبي (ص) قال العباس لعلى: ابسط يدك فلنبايعك فقبض يده قال الشعبي لو ان عليا اطاع العباس كان خير له من حمر النعم (٥٤).

﴿فصل فيما ورد فى بنى امية﴾

وقد رويت مع هذا الحديث احاديث اخرى إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها وإن كانت مفتعلة فقد صارت داعية إلى الأمر الذى وقع النزاع فيه وطال الخصام عليه.

منها ما رواه ابن الكلبى عن الحكم بن هشام الثقفى قال مات عبيدالله بن جحش عن ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت معه بارض الحبشة فخطبها (ص) إلى النجاشى فدعا بالقريشيين، فقال: من اولاكم بأمر هذه المرأة؟

فقال خالد بن سعيد بن العاصى انا اولاهم بها قال فزوج نبيكم، قال فزوجه ومهر عنه النجاشى اربعمائة دينار، فكانت اول امرأة مهرت اربعمائة دينار وحملت إلى النبى (ص) ومعها الحكم بن أبى العاص فجعل النبى (ص) يكثر النظر إليه.

فقيل يا رسول الله إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب.

فقال إليس ابن المخزومية؟

قالوا: بلى.

قال: إذا بلغ بنو هذا اربعين رجلا كان الأمر فيهم (٥٥).

وكان مروان بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان كلام قال لمعاوية إنى والله لأبو عشرة واخو عشرة وعم عشرة وما بقى إلا عشرة حتى يكون الأمر فى، فيقول معاوية أخذها والله من عين صافية فهذا الحديث كما تسمع.

(٥٤) انظر تطهير الجنان واللسان.

(٥٥) رواه البزار؛ إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا.



وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة من حديث عبد الله بن عمير، قال: قال معاوية ما زلت اطمع في الخلافة مذ قال رسول الله (ص) إن ملكت يا معاوية فأحسن<sup>(٥٦)</sup>.

قال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح قال: كان الحادي يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول:

إن الأمير بعده على وفى الزبير خلف رضى

فقال كعب الأحبار بل هو صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فبلغ ذلك معاوية فأتاه، فقال يا أبا إسحاق ما تقول هذا وها هنا على والزبير وأصحاب محمد (ص) قال أنت صاحبها.

وقد جاء من طرق عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: «رأيت في النوم بنى الحكم أو بنى أبي العاص ينزون على منبري كما تنزوا القردة» قال: فما رأى النبي (ص) مستجمعا ضاحكا حتى توفي<sup>(٥٧)</sup>.

وعن سعيد بن المسيب قال: رأى النبي (ص) بنى أمية على منابرهم فسأه ذلك فأوحى إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه وهي قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» [الإسراء: ٦٠].

يعنى بلاء للناس وقد روى أن رجلا قام إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فقال

(٥٦) انظر الإصابة ترجمة معاوية.

(٥٧) انظر تطهير اللسان.

(يامسود وجوه المؤمنين) فقال، لا تؤنبنى رحمك الله فإن رسول الله (ص) قد رأى بنى امية يخطبون على منبره رجلا رجلا فسأه ذلك فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ - والكوثر نهر فى الجنة - ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعنى تملك بنى امية فحسب ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص.

وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال إذا بلغ بنو أبى العاصى أربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خوفاً ومال الله دولا.

قال الزبير بن بكار قال عمى مصعب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير أو غير عبد الله وحدثنيه محمد بن الضحاك الحزامى عن أبيه أن عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى وكان العواد يدخلون عليه فيخرجون وتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل فانكرت رملة بنت معاوية ذلك وهى امرأة عمرو بن عثمان فخرقت كوة واستمعت على مروان فإذا هو يقول لعمرى ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبىك فما يمنعك أن تنهض بحقك فنحن أكثر منهم رجالا منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان حتى عدد رجالا، ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل حتى يعدد فضول رجال بنى أبى العاص على بنى حرب فلما برأ عمرو تجهز للحج وتجهزت رملة فى جهازه، فلما خرج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى أبيها فقدمت عليه الشام فقال لها معاوية واسواتاه وما للحرة تطلق طلقك عمرو فأخبرته الخبر وقالت وما زال يعد فضل رجال بنى أبى العاص على بنى حرب حتى إبنى عثمان وخالد بن عمرو فتمنيت أنهما ماتا فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم،

أواضع رجل فوق أخرى تعدنا      عديد الحصى ما أن تزال تكاثر  
وامكم تزجى توأمًا لبعها      وام أخيكم نزره الولد عاقر

وأشهد يا مروان أنى سمعت رسول الله (ص) يقول: إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلاً وعباد الله خولا فكتب إليه مروان، أما بعد يا معاوية فإنى أبو عشرة وعم عشرة والسلام.

وروى عن معاوية أنه قال لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما انشدك الله يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) ذكر هذا - يعنى مروان بن الحكم - فقال أبو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس اللهم نعم.

#### ﴿فصل الخلفاء وبنى أمية﴾

وقد اقتدى برسول الله (ص) فى ولاية الأعمال أبو بكر فإنه لما استخلف بعد رسول الله (ص) وارتدت العرب قطع البعوث وعقد أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً فعقد لخالد بن الوليد المخزومى وبعثه لقتال طليحة بن خويلد الأسدى ثم مالك بن نويرة وعقد لعكرمة بن أبى جهل المخزومى وبعثه لقتال مسليمة بن ثمامة بن المطوح بن ربيعة الحارث وعقد للمهاجر بن أبى أمية المخزومى وبعثه لقتال جنود الأسود بن كعب ابن عوف العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح.

وعقد لخالد بن سعيد العاصى بن أمية وبعثه إلى مشارف الشام.

وعقد إلى عمرو بن العاص وبعثه إلى قضاة وعقد لحذيفة بن محصن العلقانى من علقان بن شرحيل بن عمرو بن مالك بن يزيد ذى الكلاح وبعثه إلى أهل دبا، وهى مدينة قديمة من مدن عمان.

وعقد لعرفجة بن هرثمة وبعثه إلى مهرة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة ابن أبى جهل فإذا فرغ من الإمامة لحق قضاة.

وعقد لطريفة بن حاجم وبعثه إلى بنى سليم ومن معهم من هوزان وعقد لسويد ابن مقرن بن عائذ المزني، وبعثه إلى تهامة اليمن.

وعقد للعلاء بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين فلحق كل أمير بجنده حتى انقضت حروب الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد لفتح العراق وأردفه بغيلان ابن غنيم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة هلال بن وهيب الفهري وأمدهما بالقعقاع بن عمرو وجهز الجنود إلى الشام فبعث خالد بن سعيد بن العاصي وأردفه بنى الكلاع وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاصي والوليد بن عقبة وعقد ليزيد بن أبي سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه وجهزه عوضاً عن خالد بن الوليد.

وعقد لأبي عبيدة بن الجراح وبعثه إلى حمص، وأمد يزيد بن أبي سفيان بأخيه معاوية بن أبي سفيان ومعه جيش فنزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن، وقيل بصرى، ونزل عمرو بن العاص القرية.

ولما مات أبو بكر واستخلف من بعده عمرو بن الخطاب كانت عماله على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص بن أمية، ثم سفيان بن أبي عبد الله الثقفي، وعلى اليمن يعلى بن منبه، وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، ثم عثمان بن أبي العاص، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، ثم المغيرة بن شعبه، ثم عمار بن ياسر، ثم أبو موسى الأشعري وعلى البصرة المغيرة بن شعبه، ثم أبو موسى الأشعري، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، ثم يزيد بن أبي سفيان، ثم معاوية بن أبي سفيان وعلى الجزيرة عياض بن غنم وعلى مصر عمرو بن العاص.

فانظر كيف لم يكن في عمال رسول الله (ص) ولا في عمال ابي بكر وعمر احد من بنى هاشم فهذا وشبهه هو الذى حدد انياب بنى امية وفتح ابوابهم واترع كاسهم وقتل امراسهم حتى لقد وقف ابو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه فقال رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار إلينا<sup>(٥٨)</sup>.

وروى ان الأمر لما افضى إلى عثمان بن عفان اتى ابو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال: يا حمزة إن الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا احق به من تيم وعدى.

قال كاتبه، وما هي إلا الدنيا وإن الدين لعارض فيها والعاجلة محبوبة، وبهذا ارتفعت رؤوس وضعفت نفوس فإن دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تعرف ولله في خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله ان يتم شيء من امر الدنيا إلا ويعتريه النقص.

#### ﴿فصل اختصاص بنى هاشم﴾

لما كانت بنو هاشم من قریش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر اعنى الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقي وكانت احوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة لهذا ازواها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم فإن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد (ص) كما ثبت انه (ص) لما خير اختار ان يكون نبيا عبدا ولم يختر ان يكون نبيا ملكا، وسأل مثل ذلك لاله كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن ابي زرعة عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص) اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا.

وروى ابو عيسى الترمذى حديث عبیدالله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم ابي عبد الرحمن عن ابي امامة عن النبي (ص) قال: عرض على ربي ليجعل لى بطحاء

(٥٨) انظر التعليق على هذا الكلام فى الملحق.

مكة ذهبًا قلت لا يارب ولكن اشبع يومًا وأجوع يومًا، أو قال ثلاثًا، أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرج البخاري من حديث ابن أبي ليلى حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحن فبلغها أن رسول الله (ص) أتى بسبى فاتته تسأله خادمًا فلم توافه فذكرت لعائشة فجاء النبي (ص) فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم، فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال الا ادلكما على خير مما سألتما إذا اخذتما مضاجعكما، فكبرا اربعًا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبعا ثلاثا وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتما.

وأخرجه مسلم أيضًا ولأبي داود من حديث أبي الورد عن على بن أعبد قال: قال لى على رضى الله عنه الا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله (ص) وكانت من أحب أهله إليه، قلت بلى، قال فإنها جرت بالرحى حتى أثر فى يدها واستقتت بالقربة حتى أثر فى نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فأتى النبي (ص) فقلت لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا فأتته فوجدت عنده حدائًا فرجعت فأتاها من الغد فقال: ما كان حاجتك فسكنت فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله جرت الرحى حتى أثرت فى يدها، وحملت القربة حتى أثرت فى نحرها فلما أن جاء الخدم امرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا تقيها حر ما هى فيه، فقال اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعملى عمل أهلك. فإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين، واحمدى ثلاثا وثلاثين، وكبرى اربعًا وثلاثين، فهى خير لك من خادم. قالت رضيت عن الله وعن رسوله.

وفى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن ابيه عن النبى (ص) انه قال: انى لأعطى الرجل وغيره احب إلى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه.

وفى رواية: فو الله انى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى ادع احب إلى من الذى اعطى ولكنى اعطى اقواما لما ارى فى قلوبهم من الجزع والهلع فأكل اقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ومن حديث انس بن مالك عن النبى (ص) (انه قال) فإنى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر اتالفهم.

وروى ابن وهب من عمرو بن الحارث ان بكر بن سواده حدثه ان ابا سالم الجيشانى حدثه عن ابي ذر ان رسول الله (ص) قال له: كيف ترى جعيلا - جعيل بن سراقه؟

قال: قلت كشكاه من الناس قال: فكيف ترى فلانا قلت سيدا من سادات الناس، قال: فجعيل خير من ملء الأرض ذهباً او القا ونحو ذلك من فلان، قال: قلت يا رسول الله ففلان هكذا وانت تصنع به ما تصنع قال إنه راس قومه وانا اتالفهم به.

قال جامع هذا على بن ابي طالب رضى الله عنه كان يعلم ان رسول الله (ص) يربأ ببني هاشم من ولاية الأعمال كما ثبت فى مسلم وغيره من حديث مالك عن ابي شهاب ان عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب حدثه ان عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه.

قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبدالمطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين (قال لى وللفضل بن العباس) إلى رسول الله (ص) فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس.

قال فيبيناهما في ذلك جاء على بن ابي طالب رضى الله عنه فوقف عليهما فذكر له ذلك، فقال لا تفعلوا فوالله ما هو بضاعل فانتجاه ربيعة بن الحارث، فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا فوالله لقد نلت صهر رسول الله (ص) فما نفسناه عليك.

قال على: ارسلوهما، فانطلقا واضطجع.

فلما صلى رسول الله (ص) الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بأذاننا ثم قال: أخرجنا ما تسران، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش.

قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم احدنا، فقال: يا رسول الله أنت ابر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح - اى الحلم - فجئنا لتؤمّرتنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك كما يؤدى الناس، ونصيب كما يصيبون.

فسكت طويلاً حتى اردنا ان نكلمه وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه.

قال ثم قال إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هي اوساخ الناس ادعو إلى محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فجاء، فقال لمحمية أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن العباس فأنكحه.

وقال لنوفل بن الحارث أنكح هذا الغلام ابنتك لى فانكحنى.

وقال لمحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا.



فهذا اعزك الله وإن كان إنما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم فإن رسول الله (ص) إنما كانت أعماله التي يستعمل عليها عماله على قسمين: إما للحرب أو على الصدقات فمنع رسول الله (ص) بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح أنهم لا يستعملون عليها تنزيهاً لهم ولبنى المطلب عن اوساخ الناس لكرامتهم.

وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون ان آل البيت ارفع قدرًا عند الله من ان يبتليهم بأعمال الدنيا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب لما خرج الحسين بن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتبت إليه شيعة وحثوه على مسيره إليهم ليقوم بأمر الأمة بدل يزيد بن معاوية لحقه عبدالله على مسيرة ليلتين، وقال: أين تريد؟

قال: العراق.

قال لاتأتهم.

قال: هذه كتبهم وبيعتهم.

فقال إن الله عز وجل خير نبيه (ص) بين الآخرة والدنيا فاختر الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله (ص) والله لا يليها احد منكم وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم فارجع.

فأبى الحسين وقال هذه كتبهم وبيعتهم.

فأعتنقه عبدالله بن عمر وقال استودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن

عمر (٥٩).

(٥٩) مثل هذه الرواية المشهورة فى كتب التاريخ تريد التأكيد على أن الحسين خرج طلباً للحكم والإمارة ولم يكن الأمر كذلك فما قام به الحسين هو ثورة كان الهدف منها إعادة الصورة الحقيقية للإسلام وتثبيتته على ساحة الواقع بعد أن شوّهه معاوية وولده وعزلوه عن الواقع وعزلوا المسلمين عنه. انظر الملحق.

وكذلك قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما للحسين، والله يا ابن أخى ماكان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة وهذا من فقههما.

وقد أشار الحسن بن على رضى الله عنهما إلى ذلك فى خطبته لما ترك الخلافة التى صارت إليه بعد أبيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاصى أن يأمر الحسن فيخطب الناس فثنا منه أنه يعيا فخطب معاوية، ثم أشار إلى الحسن أن يخطب فقام فحمد الله.

ثم قال: (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماكم بأخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز وجل قال لنبيه (ص) «وَأِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» [الأنبياء: ١١١] فلما قالها قال معاوية اجلس وحقدها على عمرو، وقال: هذا من رأيك فصدق الحسن فيما قاله.

#### ﴿فصل فى خروج الخلافة﴾

ذهب بعضهم إلى أن السر فى خروج الخلافة بعد رسول الله (ص) عن على بن أبى طالب إلى أبى بكر وعمر ثم عثمان أن عليا لو ولى الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل أنه ملك متوارث لا يكون إلا فى أهل البيت كما تزعمه الرافضة فسان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شبهة قول القائل عن النبى (ص) هو رجل يطلب ملك أبيه وهو معنى حسن ولهذا السر جعل (ص) الخلافة لعامة قريش ولم يختص بها أهل بيته بل ولا بنى هاشم حتى لا يتخيل أنه ملك متوارث والله أعلم<sup>(٦٠)</sup>.

(٦٠) انظر التعليق على هذا الكلام فى الملحق.

وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله (ص) بنى أمية الأعمال كانت إشارة منه (ص) إلى أن الأمر سيصير إليهم ولى بحمد الله فى هذا النحو خير سلف وأجل قدوة منهم سعيد بن المسيب رحمه الله.

قد ثبت فى البخارى ومسلم من حديث أبى موسى الأشعري فى حديث جلوس رسول الله (ص) على بئر اريس ودخول أبى بكر وعمر وجلوسهما عن يمينه وشماله معه (ص) فى القبر ودخول عثمان بن عفان وجلوسه تجاههم من الشق الآخر وأن سعيد بن المسيب قال فتأولت ذلك قبورهم اجتمعت ها هنا وانفرد قبر عثمان، وثبت من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) نحر فى حجته التى يقال لها حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة فكان فى نحره هذا العدد من البدن إشارة إلى أن مدة حياته (ص) ثلاث وستون سنة.

وثبت من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه إن رسول الله قال: إن امن الناس على فى صحبته وماله وأبو بكر ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت ابا بكر خليلًا إلا حلة الإسلام لا تبقيان فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر<sup>(٦١)</sup>.

فكان امر رسول الله (ص) بإبقاء خوخة أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك إشارة ودليل على خلافته بعد رسول الله (ص) وأن ذلك من رسول الله (ص) تنبيهًا للناس بأن ابا بكر يصير إمام المسلمين ويخرج من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله (ص) يخرج.

(٦١) انظر البخارى ومسلم باب فضل أبى بكر. وحديث خوخة أبو بكر مردود بأحاديث أخرى لصالح خوخة على. انظر الترمذى كتاب المناقب ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩/١١٤ ومسنند احمد.

ذكره ابن بطال وقد جعل جمهور الصحابة استخلاف رسول الله (ص) ابا بكر في الصلاة وهو مريض دليلاً وإشارة إلى انه الخليفة من بعد رسول الله (ص)، وقالوا: قد رضيه رسول الله (ص) لديننا، افلا نرضاه لدينانا<sup>(٦٢)</sup>؟

وثبت في الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال، كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر، فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله، فقال إنه ممن قد علمتهم.

قال، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني.

فقال، ماتقولون في «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» حتى ختم السورة، فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا.

وقال بعضهم لا ندرى او لم يقل شيئاً.

فقال لى يا ابن عباس اكذا هو؟

قلت: لا.

قال: فما تقول؟

قلت: هو اجل رسول الله (ص) اعلمه الله له يقول إذا جاء نصر الله والفتح، فتح

مكة فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان تواباً.

قال عمر: ما اعلم منها إلا ما تعلم، فهذا فهم الصحابة والتابعين وهم القدوة

وبهم الأسوة. وفقنا الله لاتباعهم.

(٦٢) هذا الكلام من استنتاجات بعض الفقهاء والمؤرخين وليس محل إجماع.

﴿فصل فى بنى العباس﴾

إياك والاعتراض على ما تقدم بأخذ بنى العباس بن عبدالمطلب بن هاشم الخلافة وأنهم أقاموا خلفاء نيضًا على خمسمائة وعشرين سنة فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعدما ضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدي عجم أهل خراسان ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى أزالوا بعجم خراسان دولة بنى أمية وتناولوا العز كيف كان فما وصل أمر الأمة إلى أهل العدالة والظهاره ولا وليهم ذوو الزهاده والعباده ولا ساسهم أرباب الورع والأمانة بل استحالَت الخلافة كسروية وقيصرية بحيث أن إبراهيم الإمام ابن محمد بن على بن عبدالله بن عباس لما وجه أبا مسلم الخراسانى إلى دعائه بخراسان ووصاهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال له أنك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم فإن الله لا يتم الأمر إلا بهم واتهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله<sup>(٦٣)</sup>.

فأين اعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم.

وتالله لو توجه أبو مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يوصى بهذا، فكيف وإنما توجه إلى دار الإسلام وقتال أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم ما فتحه آبؤهم من أرض الشرك ليتخذ مال الله دولا وعبيده خولا فعمل أبو مسلم بوصية إبراهيم الإمام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره إلى العراق فيقال إنه قتل ستمائة ألف إنسان وسار فى الناس بالعسف والجبرية.

(٦٣) انظر هذه الوصية فى تاريخ اليعقوبى ج ٢/٢٦٢. وانظر حوادث عام ١٢٩هـ وما بعدها فى كتب

فمن سىء سيرته إنه لما قوى أمره وصار فى عسكر ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها اراد الغدر بنصر بن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له ان يكف عنه ويقوم بشأنه عند الإمام.

فبعث مع لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن إسماعيل وداود بن كراز يعلمه ان كتابا اتاه من الإمام يعده فيه ويمنيه ويضمن له الكرامة ويقول له انى أريد مشافهته، وقرأ كتاب الإمام عليه، يريد بذلك انه إذا اتاه قبض عليه.

فلما اتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» [القصص: ٢٠].

فتنبه نصر على ما اراد من تحذيره، فقال: انا صائر معكم إلى الأمير ابى مسلم، ودخل بستانا له كأنه يريد أن يلبس ثيابه ويركب دابته وهرب إلى الرى.

وسأل ابو مسلم عنه فأخبر بتلاوة لاهز الآية، فقال له: يا لاهز اعصيته فى الدين؟ قوما فاضريا عنقه، فضربت عنق لاهز.

وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم، لأنه كره سيرته واخذ عنقود عنب، فقال اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود واسقنى دمه.

قال ايضا، حفرنا نهرا بأيدينا، فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء - يعنى أبى مسلم - .

وقتل زياد بن صالح من أجل انه بلغه عنه انه يقول إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن، وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة وإنه مخالف.

وكان لزياد بلاء حسن في إقامة الدولة فلم يرع له، فغضب عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبي مسلم سرا، فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقافته بقتله فكتب إليه أن رسول أمير المؤمنين - يعنى السفاح - قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر إلينا لتشركنا في امرنا.

فقدم عليه فأخذه وأدخله جوالق وضربه بالخشب حتى قتل.

وكان افلح بن مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري بخراسان وكان صديقا لأبي مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان فلما ظهرت الدعوة قدم على أبي مسلم وقال:

قل للامير امين الامام      وصى وصى وصى وصى  
اتيتك لا طالبا حاجة      ومالى فى ارضكم من كفى

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه، ثم امر بقتله فقبيل له صديقك وانيسك، فقال: رايته ذا همة وابهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدت على السرير ولقد كان على كريما وكنت له محبا.

فغير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره له لما عزم على قتله.

وكان أبو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان بأربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام فلما ملك أبو مسلم مرو قدم عليه يونس بن عاصم فأكرمه غاية الإكرام. ثم دس إليه رجلا، فقال: سله عن حاله عندي ولم أكرمه؟ فسأله.

فقال: كنت قهرمانا له ناصحا .  
فقال له ابو مسلم: ابيت إلا كرما .  
فقال: يا ابن اللخناء اردت ان اقول إنك كنت لى خادما فتقتلنى، فبالله اسألك لو  
لم أقلب المعنى ماكنت فاعلا؟  
قال: قد كنت قدرت موضع خشبتك .  
قال: اكان هذا جزائى؟  
قال: ومن جازيناه بجزائه؟ وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتلته<sup>(٦٤)</sup> .

ومثل هذا كثير ومازال يسعى بجهدده حتى ازال دولة بنى أمية، واقيم عبيدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس الملقب بالسفاح فبعث عمه عبدالله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى اهل الشام بطش الجبارين وسار من الجور سيرة لم يسرها احد قبله .

وذلك انه لما هزم مروان بالزاب وغلب على بلاد الشام وقتل اهل دمشق وهدم سورها وسار إلى فلسطين نادى وهو على نهر ابن فطرس فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم .

وقتل عبدالله جماعة منهم ومن اشياعهم .  
وامر بنبش قبر معاوية بن ابي سفيان فما وجد منه إلا خط ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد منه سلاميات رجله ووجد من عبدالملك بن مروان بعض شؤون رأسه ولم يوجد من الوليد وسليمان ابنى عبدالملك إلا رفات ووجد هشام صحيحا إلا شيئا من انفه وشيئا من صدغه فضرب عدة سياط وصلب ووجدت جمجمة مسلمة بن عبدالملك

-----  
(٦٤) انظر سيرة ابو مسلم الخراسانى فى كتب التاريخ . بداية من عام ١٢٩هـ وحتى مقتله عام ١٣٧هـ .



فاتخذت غرضاً حتى تناثرت.

ولم يعرض لعمر بن عبدالعزيز وجمع ما وجد فى القبور وأحرق.

وخطب عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، زوج هشام بن عبدالمك بن مروان فأبت عليه التزويج فأمر بها فبقرت بطنها وجعلت حين أتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد،

فقل للشامتين بنا افيقوا      سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبدالله بن على، وولى السفاح ابن أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن على بن عبدالله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها فى اثنى عشر القا فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلاً فنصر أهل البلد وحملوا السلاح فنادى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون إليه فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلاً ذريعاً تجاوز فيه الحد وأسرف فى المقدار.

فيقال أنه قتل أحد عشر ألف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جداً بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمئة رجل صدموا الجند فأفرجوا لهم.

فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فأمر من الغد يقتلن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان.

وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجى، فأخذوا النساء قهراً.

فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس فى اليوم الثالث ركب فى اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فأخذت امرأة بلجام دابته فأراد أصحابه قتلها فكفهم عنها، فقالت له: الست من بنى هاشم، الست ابن عم رسول الله؟ أما تأنض للعرييات المسلمات أن ينكجهن الزنوج؟

فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنا.

ثم جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم، ثم أمر بأن لا يترك فى الموصل ديك إلا ذبح ولا كلب إلا عقر، فنفذ ذلك.

فكانت هذه الفعلة لم نسمع بأقبح منها إلا ماكان من السفاح فإن زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم الخزومية قالت به، يا أمير المؤمنين لأى شىء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيب؟

فقال لها وحياتك ما أدرى؟

ولم يكن عنده من انكار هذا الأمر الفظييع سوى هذا.

ولعمري لقد فاق فرعون فى فساده وأربى عليه فى عتوه وعناده، وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد (ص) من سوء العذاب أشد وأقبح ماكان فرعون يسوم بنى إسرائيل منه.

فكيف بها إذا ضمت مع ما حكاه البلاذرى. قال: كان أبو العباس - يعنى السفاح -

يسمع الغناء فإذا قال للمغنى أحسنت لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة.

ف قيل له ان الخلافة جليلة فلو حجت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب عنهم.

وكانت صلواته قائمة لهم<sup>(٦٥)</sup>.

فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى؟ فما أبعد عن هداهم، والله در القائل:

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فإنه تزييا بزي الاكاسرة وجعل أبناء فارس رجالات دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت وأحدث تقبيل الأرض وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث أن عقال بن شبه قال له، أحمد الله فقد جزت مدى الخلفاء فغضب المنصور.

فقال، كبرت يا عقال وكبر كلامك، ففطن.

وقال، أجل لقد أحزن سهلى واضطرب عقلى وانكرنى أهلى ولا أقوم هذا المقام بعد يومى فلم يعش المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأياماً.

-----  
(٦٥) أنساب الاشراف. وانظر كتب التاريخ.

وحتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلاً شمت المنصور عند العطسة، فلما شكاً ذلك إلى المنصور.

قال: أصاب الرجل السنة، وأخطأ الأدب.

فأين قول أبي جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة والإمامة الصادقة، ووالله ما الأدب كله إلا في السنة النبوية، فإنها هي الجامعة للأدب النبوي والأمر الألهي.

لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة في آنافهم وظهرت الخنزوانية بينهم فسموا عوائد العجم أدباً وقدموها على السنة التي هي ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاء وقسوة حتى إن أبا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الإمامة، وذلك حين اضطريت أمور بني أمية فلما أقيم أبو العباس عبدالله بن محمد السفاح في الخلافة وعهد بها عند وفاته لأخيه أبي جعفر عبدالله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر أهمه أمر محمد بن عبدالله وأخيه إبراهيم والح علي أبيهما عبدالله بن الحسن أن يحضرهما إليه لما حج.

وكان قد شردهما خوف جوره ثم حبس عبدالله وعدة من بني الحسن ومعهم الديباج بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو أخوهم لأُمهم فاطمة بنت أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب.

وجعل القيود والاغلال في أرجلهم وأعناقهم وأركبهم محامل بغير وطاء وسار بهم

كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالريذة فأمر بالديباج فشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه.

فقال، ويحك اكفف عن وجهي فإن له حرمة برسول الله (ص).

فقال المنصور للجلاد، الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوًا من ثلاثين سوطًا. فأصابا إحدى عينيه سوط منها فسالت على خده ثم قتله.

ومضى ببني حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر بن هبيرة واحضر محمد بن إبراهيم بن حسن وأقامه، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعًا وعطشًا. ثم قتل أكثر من معه من بني حسن.

وكان إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فيمن حمل مصفدًا بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان يقول لأخوته عبد الله والحسن، اعوذ بالله من مناطيهن منايا تمنينا ذهاب سلطان بني أمية واستبشرنا بسلطان بني العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه.

وقد قتل أبو جعفر أيضًا إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر ومحمد بن إبراهيم، قيل دفنه حيًا.

وكان لأبي القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها الرأس فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام بها حتى طلبه، ففر إلى السند وقال،

لم يروه ما اراق البغى من دمنا      فى كل ارض فلم يقصر من الطلب  
وليس يشفى غليلا فى حشاء سوى      ان لا يرى فوقها ابن لبنت نبى

وكتب صاحب السند إلى ابي جعفر انه وجد فى خان بالمولتان<sup>(٦٦)</sup> مكتوبًا يقول:  
القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوى انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من  
المشى، وقد قلت:

عسى منهل يصفو فتروى ظمئة      اطال صداها المشرب المتكدر  
عسى جابر العظم الكسير بلطفه      سيرتاح للعظم الكسير فيجبر  
عسى صور امسى لها الجور حاقنا      سيبعثها عدل بحى فتظهر  
عسى الله لا تياس عن الله انه      ييسر منه ما يعز ويعسر

فكتب إليه: قد فهمت كتابك وانا وعلى واهله كما قيل:

نحاول اذلال العزيز لأنه      بداننا بظلم واستمرت مرائره

واستحلف ربيعة امرأة ابنه محمد المهدي ان لا تفتح بيتا عرضه عليها إلا مع  
المهدي بعد وفاته، ففتحت مع المهدي فإذا فيه من قتل من الطالبين وفى آذانهم رقاع  
فيها أنسابهم، وفيهم اطفال فأمر المهدي فحضرت لهم حفرة ودفنوا فيها.

فأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى؟

(٦٦) بلدة من بلاد الهند.

واين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من النبوة؟

وتالله ما هذا من الدين فى شىء بل هو من باب قول الله سبحانه «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» [محمد، ٢٢].

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من اعظم الدعاة قدرا او اعظمهم غناء وهو الذى اخرج ابا العباس السفاح من موضعه الذى اخفاه فيه ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وحرسه، وقام بأمره حتى بويح بالخلافة فكان ابو العباس يعرف له ذلك وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه، فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار فى احكامه.

قال أبو الجهم ما على هذا بايعناهم إنما بايعناهم على العدل.

فأسرّها أبو جعفر فى نفسه، ودعاه ذات يوم فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق لوز، فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سم، فوثب.

فقال له المنصور: إلى أين يا أبا جهم؟

فقال: إلى حيث أرسلتني؟

ومات بعد يوم أو يومين فقال:

احذر سويق اللوز لا تشرينه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

وأما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار، وكان أشد ما يحقده عليه كتابه إليه: (أما بعد فإنى اتخذت أخاك إماما وكان فى قرابته برسول الله (ص) ومحلّه

من العلم على ماكان، ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعاً في قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالاته على صورة العدل، فأمرنى أن اجرد السيف وأخذ بالظنة ولا اقبل معذرة، وأن اسقم البريء، وأبرىء السقيم، واتر أهل الدين في دينهم وأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العشوة بالالفك والعدوان، ثم أن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكره إلى الحوبة، فإن يعف فقديمًا عرف ذلك منه، وأن يعاقب فبذنوبى وما الله بظلام للعبيد).

فكتب إليه أبو جعفر: قد فهمت كتابك وللمدل على أهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته وجميع بلائه مقال، ولم يرك الله في طاعتنا إلا ما تحب فراجع أحسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما انكرته إلى التجنى فإن المغيظ ربما تعدى في القول فاخبر بما لا يعلم، والله ولى توفيقك وتسديدك فاقدم رحمك الله مبسوط اليد في امرناو محكمًا فيما هويت الحكم فيه ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله).

فقدم عليه وقتله<sup>(٦٧)</sup>.

فانظر اعزك الله إلى كتاب أبى مسلم يوضح لك عنه سيرة القوم ولن تجد اخبر بهم منه، ثم انظر إلى كتاب أبى جعفر جوابًا له، كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذبه في دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشئك هذا من اخبارهم بل ضمه إلى وصية إبراهيم الإمام تجدهما قد خرجا من آل واحد.

وكان عبدالله بن دادبه وهو المقفع فد كتب لعبدالله بن على أمانا حين اجاب أبو جعفر إلى أمانة فكان فيه فإن عبدالله بن عبدالله أمير المؤمنين لم يف بما جعل

(٦٧) انظر قصة مصرع أبو مسلم الخراسانى في كتب التاريخ أحداث عام ١٣٧هـ.



لعبدالله بن على فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته، فانكر أبو جعفر ذلك واكبره واشتد له غيظه على ابن المقفع، وكتب إلى أبى سفيان بن معاوية عامله على البصرة اكفى ابن المقفع.

ويقال أنه شافهه بذلك عند توديعه إياه فجاءه ابن المقفع يوماً فأدخله حجرة، ثم سجر له تنوراً فألقاه فيه وهو يصيح يا أعوان الظلمة وقيل أنه القى فى بئر وأطبق عليه حجر وقيل ادخل حماماً فلم يزل فيه حتى مات، وقيل دقت عنقه وقطع عضواً عضواً، وألقت أعضاؤه فى النار وهو يراه، ويصيح صياحاً شديداً.

وقيل القى فى بئر النورة فى الحمام وأطبق عليه صخرة فمات<sup>(٦٨)</sup>.

وشكا بنو على بن عبدالله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى أبى جعفر المنصور، فأمر بحمل سفيان إليه، فلما جرى به وجاء عيسى بن على وغيره ليشهدوا عليه أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلماناه يصرخون وينعونه. وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله. فقال لهم المنصور: أرايتكم إن اخرجت ابن المقفع إليكم ماذا تقولون؟ فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع.

وكان سديف بن ميمون مولى آل أبى لهب مائلاً إلى أبى جعفر، فلما استخلف وصله بألف دينار، ثم أنه اتصل بمحمد وإبراهيم ابنى عبدالله بن حسن حتى قتلا، فاخفى حتى آمنه عبدالصمد بن على والى المدينة، فلما قدمها أبو جعفر جد فى طلبه

(٦٨) انظر ترجمة عبدالمقفع صاحب كلية ودمنة فى وفيات الأعيان؛ ج ١٥١/٢ هامش ترجمة الحلاج وانظر الكلمة والسيف للمعلق.

حتى ظفر به، فجعله فى جوالق وضرب حتى كسر، ثم رمى فى بئر وبه رمق حتى مات.

فهذا وامثاله من سيرته خلاف سنن الهدى

وكان الفضل بن الربيع يمنع عائذ الخليفة ان يسأل عن شىء يقتضى جواباً ويقول اجعلوا عيادتكم دعاء فإذا اردت ان تقول كيف أصبح الأمير، فقل صبح الله الأمير بالكرامة.

وإن اردت السؤال عن حاله، فقل انزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب.

وإن لم يجبك اشتد عليك، وإن اجابك اشتد عليه.

وكانت الخلفاء إذا عطست شممت، فعطس هارون الرشيد فشتمته رجل، فقال له الفضل: لا تعد اتكلف أمير المؤمنين ردًا وجوابًا، فجزوا على ذلك فيما بعد.

وهذا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر فى الإسلام اقبح أثر وهو أنه عرب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والالحاد الإسلام وأهله وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن وامتحنهم فيه أشد محنة وأكثر من شراء الأتراك وتغالى فى أثمانهم حتى كان يشتري المملوك منهم بمائتى ألف درهم<sup>(٦٩)</sup>.

(٦٩) انظر سيرة المأمون وفتنة خلق القرآن التى راح ضحيتها الحنابلة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ.

واقتمدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم فاشتد على الناس فى امتحانهم بالقول  
بخلق القرآن وانتهك أعراضهم وبرح بالضرب الشديد ابشارهم.

واخرج العرب قوم رسول الله (ص) الذين أقام الله بهم دين الإسلام من الديوان  
واسقط عطاءهم، فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء.

واقام بدلهم الأتراك، وخلع لباس العرب وزيهم، ولبس التاج وتزيا بزى العجم  
الذين بعث الله نبيه محمد بقتلهم وقتالهم فزالته به وعلى يديه الدولة العربية وتحكم  
منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين انذر الله بقتالهم فغلبوا من بعده على الممالك.

وسلطهم الله على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه، ثم قتلوا ابن ابنه أحمد المستعين  
وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها<sup>(٧٠)</sup>.

وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم فى خلافته من الانهماك فى الترف المنهى عنه ما  
يقبح مثله من آحاد الرعية.

وجهر بالسوء من القول فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى  
قتله بيد أعوانه وأنصار دولته.

فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى بطامة لم يسمع فى الجور نظيرها وهو  
أنه كتب إلى الأفاق بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا إلى طرفة من الأطراف وأن  
يمنعوا من اتخاذ العبيد، إلا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة

من سائر الناس قبل قول خصمه فيه، ولم يطلب بينة وقرىء هذا الكتاب على منبر مصر.

فبالله هل سمع فى اخبار الجائرين اهل العناد والشقاق بمثل ما امر به هذا الجائر، لا جرم ان الله اخذه ولم يمهلها فكانت دولته ستة اشهر<sup>(٧١)</sup>.

وما زالت امور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف، إلى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى إبراهيم بن جعفر المقتدر، وأول أيام خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى من بنى العباس إلى بنى بويه الديلمى<sup>(٧٢)</sup>.

فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة إلا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية، ثم فى الدولة السلجوقية إنما هو كأنه رئيس الإسلام، لا أنه ملك ولا حاكم تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ.

وما زالت ضعفة بنى العباس مع الديلم ومع الاتراك منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم إلى أن قتلوا عن آخرهم وسبى حريمهم وهدمت قصورهم وهلكت رعاياهم على يد عدو الله هولاء وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر أحمد بن المستضىء.

-----  
(٧١) انظر المرجع السابق وكتب التاريخ.

(٧٢) من هذه الفترة قامت دولة البويهيين الشيعة وأصبح الخليفة العباس يأتهم بأمرهم. انظر تاريخ الخلفاء وتاريخ دول الإسلام للذهبي واخبار البويهيين فى كتب التاريخ.

وقد ثبت فى الصحيح فى حديث معاوية أنه سمع رسول الله (ص) يقول: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين<sup>(٧٣)</sup>.

وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد الله بن عبد الله عتبة قال: قام رسول الله (ص) فقال: يامعشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالا تخركم منه، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحن القضيب وهو حديث مرسل وعبيد الله هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبو عبد الله الهذلى المدنى الأعمى، أحد الفقهاء السبعة، مات سنة تسع وتسعين.

#### ﴿فصل فى اتفاق الخلافة الإسلامية مع الملة الموسوية﴾

وقد اتفق فى الخلافة الإسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة، وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان وعدنان، فيقال لسائر قحطان اليمن، ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والنزارية، وهى قيس. والعرب كلها على ست طبقات شعوب وقبائل وعمائر وبطون وافخاذ وفصائل وما بينهما من الآباء يعرفها أهلها.

قال الله جلّت قدرته «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» [الحجرات: ١٣] فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أكبر من القبيلة، وقيل الشعب هو الحى العظيم، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا بذلك لتعبيهم واجتماعهم كتشعب اغصان الشجر.

وقيل الشعب القبيلة نفسها، وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لحتقر امر العرب شعوبى والقبائل جمع قبيلة.

(٧٣) انظر مسلم كتاب الإمارة والبخارى كتاب الأحكام.

والقبيلة من الناس بنو أب واحد وهى دون الشعب كبكر من ربعة، وتميم من مضر.

وقيل القبيلة الجماعة التى تكون من واحد ويقال لكل جمع على شىء واحد قبيل.

قال تعالى: «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» [الأعراف: ٢٧].

واشتقت القبيلة من قبائل الشجر وهى أغصانها، وقيل أخذت من قبائل الراس وهى أطباقها الأربع لأن العمائر تقابلت عليها والعمائر واحدها عمارة وهى اصغر من القبيلة، وقيل العمارة هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه.

والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون واحدها بطن وهو دون القبيلة، وقيل دون الفخذ وفوق العمارة فالبطن يجمع الافخاذ، وفخذ الرجل حيه من أقرب عشيرته إليه، ثم الفخذ يجمع الفصائل، وفصيلا الرجل عشيرته ورهطه الادنون، وقيل الفصيلا أقرب آباء الرجل إليه، فكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن وهاشم فخذ، وبنو العباس فصيلا.

وكما أن الله جعل العرب شعوبًا وقبائل فقد جعل بنى اسرائيل أسباطًا، فالسبط من بنى اسرائيل كالقبيلة من العرب وبنو العرب وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم إثنا عشرة سبطًا، وهم يوسف النبى، وبنيامين، وكاد، ويهوذا، ونفتالى، وزبولون، وشمعون، وروبين، ويساخار، ولاوى، وذان، وياشر، فكل ولد من هؤلاء الأثنى عشر يقال له سبط، ومنهم كلهم سائر بنى اسرائيل.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه هو موسى بن عمران

ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو من سبط لاوى، فلما مات لم يخلف فى إسرائيل أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة وإنما خلفه يوشع وهو سبط افرائم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى وذلك أنه يوشع بن نون بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راشف بن بريعا بن افرائم بن يوسف النبى بن يعقوب عليهما السلام.

وهكذا وقع فى الإسلام، فإن رسول الله (ص) سيد بنى هاشم هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك، ولما توفى رسول الله (ص) لم يخلفه فى أمته أحد من بنى هاشم الذين هم أقرب العرب إليه.

بل خلفه (ص) أبو بكر وهو من بنى تيم بن مرة بن كعب، فإنه أبو بكر عبدالله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

فانظر كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) فى البعد من جذم رسول الله (ص) كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام فإن أبا بكر إنما يلتقى مع رسول الله (ص) فى مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بعد عدة أيام.

وكما أنه قام بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفوا الأنساب بعضهم من سبط يهودا وبعضهم من سبط يساخار، وبعضهم من سبط بنيامين، وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط غاث وبعضهم من سبط دان.

كذلك قام بالخلافة بعد ابي بكر جماعة مختلفة انسابهم.

بعضهم من بنى عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن  
عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب.

وبعضهم من بنى ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو  
عثمان بن عفان بن ابي العاص.

وبعضهم من بنى هاشم وهما على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد  
مناف بن قصى وابنه الحسن بن على بن ابي طالب.

وبعضهم من بنى امية بن عبد شمس وهم معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية  
وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان.

وبعضهم من بنى اسد بن عدى بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهو عبد الله بن  
الزبير بن العوام بن اسد بن عبد العزى.

وبعضهم من بنى الحكم ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس وهم مروان بن  
الحكم وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه.

وكما ان بنى اسرائيل استقر امرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا كذلك استقرت  
الخلافة بعد من ذكرنا فى بنى العباس.

وكما ان يهوذا عم موسى عليه السلام، كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم  
وهو عم رسول الله (ص).



وكما ان يهوذا قدمه يعقوب على اخوته وبشره ومدحه، كذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله (ص) يجعله ويكرمه ويثنى عليه.

وكما ان امر بنى إسرائيل افترق فى دولة بنى يهوذا وصار بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين، فرقة بالقدس مع ابنه رجبعم بن سليمان وهم يهوذا وسببط بنيامين.

وفرقة بشمرون مع يريعام بن نباط وهم بقية الأسباط.

كذلك لما صارت الخلافة فى بنى العباس افترق امر الأمة فصار فى الانبار، ثم فى بغداد بنو العباس وفى الأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده.

فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بنى العباس، كما لم تدخل شمرون تحت حكم سببط يهوذا.

وكما ان مدينة القدس التى هى دار ملك بنى يهوذا كانت تدعى اورشليم ومعناه دار السلام، كذلك بغداد دار ملك بنى العباس كان يقال لها دار السلام.

وكما ان دولة يريعام من بعده بشمرون التى عرفت بنابلس إنقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس فإنها لم تقم غير مائتين واحدى وستين سنة، فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فانها انقرضت قبل انقراض دولة بنى العباس فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا بالقدس أقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم إلى أن انقرضت نحوًا من خمسمائة سنة فإنها أقامت أربع مائة وعشر سنين كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبى العباس عبد الله السفاح أول قائم منهم إلى أن انقرضت أيامهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا انقرضت على يد بخت نصر فإنه سار إليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم، فكذلك زالت دولة بنى العباس على يد هولاء لما قدم إلى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبى النساء.

وكما أن أمر بنى إسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم كذلك أمة محمد (ص) لم تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد بل صار فى كل قطر ملك وكما عاد لبنى إسرائيل بعد إزالة بخت نصر دولتهم ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودتهم من الجالية.

كذلك أقام الأتراك ملوك مصر رجلاً من بنى العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة<sup>(٧٤)</sup>.

وكما أن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله فى الأرض أممًا كذلك قريش قوم رسول الله (ص) تفرقوا فى أقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة.

(٧٤) المقصود بملوك مصر هنا حكام المماليك الذين استعانوا بأبناء العباسيين الفارين من وجه التتر كواجهة شرعية لهم ونصبوهم خلفاء بلا سلطة وكانوا أحيانًا يقتلونهم. انظر سيرة هؤلاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى.

وكما أن أنساب بنى إسرائيل جهلت بأسرها إلا بعض بنى يهوذا فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، كذلك قريش جهلت فى هذه الأيام أنساب جميع بطونها إلا ماكان من بنى حسن وحسين فإن أنساب كثير منهم متصلة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

فانظر أعزك الله كيف تشابه امر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية، وقد انذر بذلك رسول الله (ص)، وكان هذا من اعلام نبوته كما بيته فى كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع (ص).

. ثبت فى غير موضع من البخارى ومسلم وغيرهما من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ص): «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ هذا لفظ مسلم، ولفظ البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، الحديث بمثله.

وفى لفظ له: لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلخوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ ولبقى ابن مخلد من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة ان النبى (ص) قال لتتبعن سنن من كان قبلكم باعاً بيعاً وذراعاً بذراعاً وشبراً بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن، والله اعلم.

﴿تم وكمل بحمد الله وبعونته وصلى الله على سيدنا محمد﴾

﴿وآله وسلم تسليماً كثيراً آمين﴾

ملحق

فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم

لحمد بن عقيل العلوى

١٢٧٩هـ / ١٣٥٠هـ

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وصلاته وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وآله الهداة، ومن اتبعه ووالاه، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله مستتباً علينا فنتبع الهوى.

أما بعد فقد قرأت كتاب (النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم) للحافظ العلامة أحمد بن على بن عبدالقادر المقرئى رحمه الله، فرأيت فيه فوائد عديدة حسنة، وأدخل معها قليلاً من الوهم والغلط، فاستخرت الله عز وجل، واستعنت به، وتوكلت عليه، واستخلصت منه زبدة صالحة ممزوجة بزيادات صحيحة زدتها، ولم أتقيد بالفاظ المصنف فيما استخلصه من كتابه، وقد أتممت البحث بتبيين الصواب، وكشف النقاب عن الوهم والغلط، الذى راج على المصنف رحمه الله تعالى.

وأسأل الله الكريم أن يجعل صنيعى خالصاً لوجهه، وأن ينفعنى به، وينفع به صالحى عباده إنه الجواد الرحيم.

وقد سميته (فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم).

ذكر المصنف رحمه الله بعد ديباجة كتابه أنه يكثر تعجبه من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جذم رسول الله (ص) فأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من التحدث بالخلافة سيما مع ما كانوا عليه، فإن العداوة

والمباينة الشديدة بين بنى أمية وبنى هاشم كانت فى الجاهلية، ثابتة، ثم ازدادت شدة ورسوخا فى الإسلام لمبالغة بنى أمية فى عداوة النبى (ص) وداوة المسلمين، واذيتهم، وجدهم واجتهادهم فى استئصال شأفتهم، واستمرارهم على ذلك إلى أن قهروا وأجئوا إلى الإسلام كرهاً يوم الفتح.

ولم يزل فيهم بعد ذلك من يضمير العداوة للإسلام وأهله، ويعرف بذلك، فلعمرى لا بعد أبعد مما بين بنى أمية، والخلافة، إذ لا سبب ولا نسب لهم يمتون به إليها ما سوى القرشية التى يستوى معهم فيها قريش الظواهر.

فذو القرابة القريبة غيرهم، والوصية إلى سواهم، والناصرين للإسلام ولنبيه أعداؤهم، والسابقون إليه مقاتلوهم.

فليسوا فى قليل ولا كثير ما يدلى به إلى الخلافة من دين أو علم به، أو نصر له، أو قرابة قريبة غير مجدودة إلى صاحبه، أو وراثة، وكل هذا مجمع عليه، ولا نزاع فيه بين المسلمين.

وحيث قد بعد القوم كل البعد عن كل مؤهل للخلافة، فليتهم سلموا مما يبعدهم أشد البعد عنها، ولكنه قد اجتمع فيهم من ذلك ما يعسر عده.

فعداوة كبيرهم أبى سفيان بن حرب لرسول الله (ص) ومحاربتة له وإجلابه عليه، وغزوه إياه أشهر من أن ينكر، ولقد أسلم بعد ذلك كرها، فسلم ولم يكن خلاصه إلا بشفاعة العباس بن عبد المطلب، وقد طلب له حينئذ ما طلب.

فكانت المكافأة عن تلك اليد البيضاء محاربة على، وتسميم الحسن ابنه، وقتل

الحسين ومن معه من اولاد على، وقرابات النبي (ص) وحمل نسائهم وذرايرهم حواسر على الأقتاب، والكشف عن سواة على بن الحسين لما اشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بأبناء المشركين، وقتل بسرين ارطاة وزير معاوية وأميره ابني عبيد الله بن العباس طفلين صغيرين، فتدلتهت أمهما، ورثتهما بشعرها السائر.

وقتلهم اولاد عقيل بن ابي طالب مع زعمهم انه كان قد اعانهم على حرب اخيه، فإن صدقوا فقد جزوه بما هم أهله، وإن كذبوا فما أحرهم بالبهتان.

ومن عرف بنى أمية لا يعجب مما صنعوا لأن مثلهم لا يكون منه إلا ما كان منهم، ولكن العجب كل العجب من صنيع الأمة معهم مع معرفتهم احوالهم وتراجم رجالهم.

فمنهم ابو احيحة سعيد بن العاص بن أمية مات مشركا كان من اشد الناس عداوة وبغضا لرسول الله (ص)، ومنهم عقبة بن ابي معيط كان فاجرا فاحشا، خبيثا، وجد رسول الله (ص) ساجدا لله تعالى فوطأ عنقه الشريف وطأ شديدا، ووجده مرة اخرى فوضع عليه سلا جزور او شاة، وقد أسر ببدر، فأمر النبي (ص) عليا فقتله، فقال للنبي (ص): يا محمد من للصبيبة؟ قال: النار.

ومنهم الحكم بن ابي العاص لعين رسول الله (ص) وطريده كان مؤذيا لرسول الله وعارا في الإسلام، لم يحسن إسلامه بل كان يتطلع اخبار النبي (ص) بالمدينة، ثم يخبر بها الكفار، ومشى مرة خلف النبي (ص) وهو يتخلج بأنفه وفمه، ويتفكك ويتمايل كأنه يحاكي النبي، فالتفت إليه النبي (ص) فرآه فقال له: كن كذلك، فما زال بقية عمره على ذلك.

وطرده النبي (ص) من المدينة، ولعنه وما ولد، وقال: ويل لأمتي مما في صلب هذا، وله أخبار سيئة كثيرة.

وقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يخاطب ابنه:

إن اللعين أباك فارم عظامه  
إن ترم ترم مخلجاً مجنوناً  
يضحى خميص البطن من عمل التقى  
ويظل من عمل الخبيث بطينا

ومن أعداء النبي (ص) عتبة بن ربيعة عدو الله ورسوله، وهو جد معاوية، وقتله حمزة كافرًا ببدر، فلما قتل حمزة بأحد لآكت هند بنت عتبة كبده، واتخذت لها حلياً من آرابه، وأعطت حليها قاتله وحشياً، وقد استثنى النبي (ص) من الأمان العام يوم فتح مكة، وأمر بقتلها في من أمر بقتله، فأسلمت، وهى أم معاوية مبدل أحكام الإسلام، وهادم أركانه.

ومنهم الوليد بن عتبة قتله على ببدر كافرًا، وهو خال معاوية.

ومنهم شيبه بن ربيعة، وكان ممن يكيد لرسول الله (ص) ويؤذيه، وقتل ببدر كافرًا.

ومنهم أبو سفيان والد معاوية حامل راية عداوة الله ورسوله، وقائد الأحزاب،



واحد أكبر أئمة الكفر، وأشدّهم عداوة لله ولرسوله، وللمسلمين، وأكثرهم اجتهاداً في محاربتة، وكيدته، وأحرصهم على استئصال شأفة الإسلام، ومحوه، وكان زنديقاً في الجاهلية، ثم أسلم كرهاً إسلاماً مدخولاً، وخرج مع رسول الله (ص) في غزوة حنين، ومعه الأزام يستقسم بها، وسرّ بهزيمة المسلمين، ثم كان كهقاً للمنافقين، روى الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان حين ولي الخلافة فقال: أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك، ولا أدرى ما جنة ولا نار.

ومنهم معاوية بن المغيرة، وهو ممن مثل بحمزة بعد قتله، وقتله على وعمار كافرًا بأمر من النبي (ص).

ومنهم حمالة الحطب عمة معاوية كانت تسب النبي (ص) وتؤذيه، وتضع الشوك في طريقه، وهلكت كافرة.

فجميع هؤلاء كثير غيرهم من قرياتهم بذلوا جهدهم في عداوة الله ورسوله، وفي أذيته، وأذية المسلمين حتى الجأؤهم إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فرارًا من الاضطهاد والظلم والتعذيب، فاستولى الظالمون على رباغ ومخلفات المهاجرين وباعوها، وهموا بقتل النبي (ص) غير مرة فحفظه الله من مكرهم، وبالغ كل منهم، وبذل كل جهده بنفسه وبماله وعشيرته في كيدته، ولما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ونجاه الله من شرهم جعلوا لمن يقتله مائة بغير نادوا بذلك في أعلى مكة وأسفلها حسدًا للنبي (ص)، وحقداً عليه.

ففي هذه الطغمة كهف النفاق، والوزغ وابن الوزغ، وناقر ثنايا الحسين بالقضيب، وصبية النار، وأكلة الأكباد، وحمالة الحطب.

ومن مآثرهم من بعد الإشادة بلعن صنو النبي وسيد المسلمين، وقتل فضلاء المهاجرين والأنصار والبدرين، وأصحاب الشجرة، ثم قتل الحسين بن النبي وريحانته، ووطء صدره وظهره الشريفين، بسنابك الخيل، وقتل زيد بن علي، ثم نبشهم له من قبره، وصلبه بعد أن أقوا رأسه الكريم فى عرصة الدار تطأه الأقدام، وتنقر دماغه الدجاج فقال الشاعر:

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد  
طالما كان لاتطأه الدجاج

وقال شاعرهم مفتخرًا بفجورهم:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة  
ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ثم قتلوا ابنه يحيى بن زيد، وسموا قاتله ثائر مروان، وناصر الدين، وضربوا على ابن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين، وسمّوا أبا هاشم بن محمد بن علي، وقتلوا إبراهيم الإمام، ادخلوا رأسه فى جراب نورة إلى أن مات، وبالحرّة قتلوا عون بن عبدالله ابن جعفر.

وقد كان أعرق الناس فى الكفر وفى عداوة النبي (ص) عبدالمملك بن مروان بن الحكم، ومن الغريب انه لم يمنع ذلك عن أن يكون خليفة، ووالد خلفائهم أيضا، ومثل عبدالمملك بعض قومه يعرف ذلك من عرفهم، فإن جد عبدالمملك لأبيه الحكم بن أبى

العاص، وقد مرّ ذكره، وجده لأمه معاوية وبن المغيرة، ومرّ ذكره، وأبوه مروان فضض من لعنة الله، وهو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون، هو وولده إلا الصالحين، وقليل ما هم كما صح بذلك الحديث، وهو من بنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن، وهل يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان، وأقدمهم فيه.

وقد حدا الحادي بهشام بن عبد الملك، وهو رجلهم فقال:

إن عليك أيها البختى

أكرم من تمشى به المطى

فقال: صدق قولك.

وقال مرة: والله لأشكون سليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وكفى بهذا جهلا.

وولى ابنه سعيداً حمصاً فبلغه زناه بنساء الناس، فقال به: يابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين! أفجر فجور قريش، اقتل هذا وخذ مال هذا.

وبنو أمية لهم أكبر سابقة من التهلك والفسوق، والوقاحة، فقد نافر أمية هاشمياً فنفره هاشم، فخرج أمية إلى الشام، وأقام بها عشر سنين، وكان مضعوقاً وصاحب عهار، ونافر حرب بن أمية عبد المطلب إلى نزيل بن عبد العزى، فتعجب نفس من إقدام حرب على المنافرة، وقال له:

أبوك معاهر وأبوه عف

وذاد الفيل عن بلد حرام

وقد صنع أمية شيئاً لم يصنعه أحد من أهل الجاهلية، فقد نزل لابنه أبى عمرو فى حياته عن زوجته، وزوجه بها فبنى بها أبو عمرو أمام أبيه، وكان المقيتون فى الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، أما من يتزوج زوجة أبيه وهو حى على مرأى منه، فهذا لم يكن قط من غير أمية، ولله القائل:

عبد شمس قد اضمرت لبنى ها  
شم حرباً يشيب منها الوليد  
فابن حرب للمصطفى وابن هند  
لعلى وللحسين يزيد

ولاشك ان الأمر كما قال الشاعر:

إن العداوة تلقاها وإن قدمت  
كالعريسكن أحيائنا وينتشر

إن رسول الله (ص) قد أبعد بنى أمية عنه، وأخرجهم من قرابته، واختص بها بنى هاشم، وبنى المطلب صح بذلك الحديث من طرق، فلم يجعل (ص) القرابة النسبية وحدها قرابة معتبرة فى أحكام دين الله تعالى مالم تقترن بها القرابة الدينية، فلم ينفعهم كونهم من بنى عبد مناف لعداوتهم فى الدين، وخذلانهم وعنادهم بخلاف إخوانهم بنى عبدالمطلب بن عبد مناف، لمسالمتهم له فى الجاهلية، وإسراعهم فى نصره وموالاته، فلقد وقوه بأنفسهم، حين تخلى عنه الناس أجمعون، ودخلوا معه الشعب واحتملوا مضض الخصار والخوف والجوع الشديد مؤمنهم وكافرهم، ما خلا أبو لهب

لعنه الله وابعده، وقد كان السابقون من المسلمين من غير أهل البيت إذ ذاك في أمن وخصب وراحة والله القائل:

وأرى القرابة لا تقرب قاطعاً

وأرى المردة أكبر الأسباب

فمن أغرب الغرائب اضطهاد الأمة وقهرها وقتلها من نصر نبيها (ص)، ونصح له ووقاه بروحه، وبذل في حبه كامل جده واجتهاده، وأوصى النبي (ص) الأمة به، وحرصها على حفظه، وتكريمه، والتمسك به، وضمن لها عدم الضلال إن امتثلت ما أمرت، واختصه النبي (ص) بامتيازات ذوى القربى، واستخلافها وترئيسها، وتأميرها، ونصرها من حارب نبيها، وكذبه ونابذه وكاده، وآذاه واجتهد في أن يقتله، وفي أن يهلك الإسلام ويمحوه، ومن حذر النبي (ص) الأمة منه، وأخرجه من قرابته، فلم يجعل له حظاً من سهم ذوى القربى، فكيف يستحق نصيباً في الخلافة من لم يستحق ذرة من المال، وكيف يقيم دين الله أعدى عدو لله ولرسوله.

وليت بنى أمية إذ أنزلتهم الأمة الإسلامية المنزلة التي لم يجعلها الله لهم، وملكتهم زمامها عدلوا وأصلحوا، وعملوا خيراً.

ولكنهم أفسدوا وفسقوا وجاروا، واستأثروا بأموال الأمة كلها، وأهلكوا عترة نبيها (ص) قتلاً وتشريداً وأهانوا أنصاره، وبدلوا الأحكام، حتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بنى أمية، وقال نائبهم الحجاج جهاًراً على المنبر، رسولك أفضل أم خليفتك، يعرض بأن عبد الملك بن مروان أفضل من رسول الله (ص).

وقام ابن شقّى في مجلس هشام بن عبد الملك فقال أمير المؤمنين خليفة الله، وهو أكرم على الله من رسوله فأنت خليفته ومحمد رسول الله.

وصرح اميرهم خالد بن عبدالله القسرى على منبر مكة بأن عبدالملك بن مروان افضل من خليل الرحمن (ص) كما نقل هذا ابن جرير.

وقال يوسف بن عمر عامل هشام بن عبدالملك فى خطبته يوم الجمعة، إن أول من فتح على الناس باب الفتنة، وسفك الدماء على وصاحبه الزنجى، يعنى عمار بن ياسر.

وقد صحح الحاكم حديث على فى قوله عز وجل ﴿واحلوا قومهم دار البوار﴾ قال: هما الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

وبعد ذكر المقرئى أكثر ما تقدمت الإشارة إليه أفاد أنه طالت حيرته، وتفكر فى ذلك سنين عديدة، وذاكر به مشيخة ممن لقيهم، فلم يجد طول عمره غير رجلين أحدهما قد عراه ما عرا المقرئى من الحيرة، وثانيهما مقلد لا يزيد مذاكره على التهويل شيئاً.

أول الأوهام / ثم اتضح للمقرئى رحمه الله أن سبب طمع بنى أمية فى الخلافة رغباً عما تقدمت الإشارة إليه من حالهم المنافى لها، وسبب منعها عن بنى هاشم، مع تحليهم بشروطها واستحقاقهم لها. هو أنه لما مات رسول الله كان عامله على مكة عتاب ابن اسيد الأموى، وأقره أبو بكر، وكان على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص الأموى، وعلى البحرين أبان بن سعيد بن العاص الأموى، أو كان على البحرين العلاء بن الحضرمى، وهو حليفهم، وعلى تيماء وخبير وتبوك، وفدك عمرو بن سعيد بن العاص الأموى، وعلى نجران أبو سفيان صخر بن حرب الأموى، وقيل: كان عليها انصارى،

وقيل: إن ابنه يزيد كان ممن يجمع الصدقة، وكان على جرش حليف لبني أمية من الأزد.

وقال عمر بن عبدالعزيز: لما مات النبي (ص) كان من عماله أربعة رجال من بني أمية.

ثم ذكر المقريزي أن العمال على سائر النواحي كانوا من غير بني هاشم قال: فإذا كان النبي (ص) قد أسس لهم الأساس، وأظهر بني أمية للناس بتوليته لهم الأعمال، فكيف لا يقوى ظنهم، وينبسط رجاؤهم.

وكيف لا يقصر أمل بني هاشم، وقد ذكر البخاري عن الزهري أن العباس عم النبي وأكبر بني هاشم سناً، وعلياً أخا النبي يريد أحدهما أن يستعلم الآخر من النبي (ص) في أيام مرضه هل الأمر فيهم أم في غيرهم؟ فيأبى ذلك.

وذكر قول العباس لعلي: امدد يدك أبايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، وياييعك أهل بيتك، فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر، وقول علي للعباس: يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا، أو معناه، هذا على اختلاف الروايات.

وسياتى بيان ما اختلفوا فيه من إصابتهم وجه الرأي، وذكر أنها رويت مع ما ذكره أحاديث كثيرة، إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردّها، وإن كانت مفتعلة فقد كانت داعية إلى الأمر الذي وقع النزاع فيه.

وأتبعها ببعض أحاديث الضنن التي فيها ذكر ملك بني أمية، وجبروتهم، وتخاذهم مال الله دولا، وعباد الله خولا، ورؤيا النبي (ص) بني الحكم، أو بني العاص ينزون على المنبر نزو القردة فلم ير (ص) مستجمعا ضاحكا حتى توفى، وما في معنى ما ذكر.

وآردفه بأن أبا بكر ولى عددًا من بنى أمية، وحلفائهم، وكذلك فعل عمر، ولم يوليا أحدًا من بنى هاشم.

والنتيجة أن هذا وما يشبهه هو الذى حدد أنياب بنى أمية، وفتح أبوابهم، وأترع كأسهم، وقتل أمرائهم، حتى لقد قام أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه، فقال: رحمك الله أبا عمار، لقد قاتلتنا على امر صار إلينا.

وروى أن الأمر لما أفضى إلى عثمان بن عفان أتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال: يا حمزة إن الأمر الذى تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنا أحق به من نيم وعدى.

الثانى، ثم ذكر المقرئى اختصاص أهل البيت بالفضلواختيار الله لهم الآخرة، وقال: كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون أن آل البيت أرفع قدرًا عند الله من أن يبتليهم بأعمال الدنيا، منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنه وذكر ما روى أنه قاله للحسين، والله لا يليها أحد منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم.

وروى أن ابن عباس قال للحسين: ما كان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة، قال: وهذا من فقهما.

وذكر اختيار رسول الله (ص) أن يكون عبدًا على أن يكون ملكًا.

وذكر زعم بعضهم أن السر فى خروج الخلافة من على إلى أبى بكر وعمر، لئلا يقال: ملك متوارث.



قال: وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله (ص) بنى امية الأعمال كانت إشارة منه (ص) إلى أن الأمر سيصير إليهم.

وذكر أن له فى مثل هذا التأويل سلقا، وهو ابن المسيب فى تأويله جلوس النبى (ص) مع أبى بكر وعمر فى قف البئر فى جانب، وجلوس عثمان منفردا مقابلهم بأن قبورهم تجتمع ثلاثة، وينفرد عثمان، ثم اطال بذكر تشبثات لا يثبت شىء منها على المحك.

كذكره أن سيرورة الخلافة إلى بنى العباس إنما كانت أيام ضعف الدين لعدم استحقاقهم الخلافة، وذكر طرفا من فضائع جبارتهم وفراغنة عمالهم عاملهم الله بعدله آمين.

وشرع بعد ذلك فى المقارنة بين ما كان فى الأمة الموسوية، وما صار مثله فى الأمة المحمدية حذو القذة بالقذة.

فذكر أنه خلف بعد موسى يوشع بن نون عليه السلام، وهو من سبط آخر، وبعده عن موسى كعبد أبى بكر عن النبى محمد (ص).

وخلف بعد يوشع جماعة مختلفة انسابهم، كما قام بعد أبى بكر رجال مختلفة انسابهم.

ثم استقر امر بنى إسرائيل فى بنى يهوذا عم موسى عليه السلام، وكذلك استقر امر المسلمين فى بنى العباس عم النبى محمد (ص)، وذكر امورا سلك فيها الآخرون سنن من قبلهم، إلى أن قال ما معناه: ولم يجتمع امر بنى إسرائيل بعد زوال دولتهم على

واحد يقوم بدينهم، فكذلك المسلمون لم يتفقوا على خليفة واحد بعد بنى العباس، اى اولهم.

وبنوا اسرائيل قطعهم الله فى الأرض امما، وكذلك قريش تفرقوا وصاروا رعية.

وبنو إسرائيل جهلت انسابهم إلا بعض بنى يهوذا، فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، وكذلك قريش جهلت انساب بطونها ما خلا بعض بنى حسن وحسين، فإن انسابهم متصلة بعلى.

فانظر اعزك الله كيف شابه امر هذه الأمة امر الأمة اليهودية، مصداقا لما انذرنا بها رسول الله (ص) فيما صح وثبت عنه، فكان ذلك من اعلام نبوته، كما بينته فى كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء و الأحوال والحفدة والمتاع.

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ص): (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن) اخرجاه فى مسلم والبخارى وله طرق.

الثالث: وقد انتهى ما اردنا استخلاصه من كلام المصنف رحمه الله ممزوجا بما زدناه عليه مما يقويه، ويوضحه ووفاء بما وعدنا به من تبين ما دخل على المصنف من وهم وغلط، نقول: إن جميع ما ذكره المصنف فى بنى أمية من بعدهم عن رسول الله وعن ولايته، وولاية المؤمنين، ومن إخراجهم (ص) لهم من قرابته إقصاء لهم، وطردا، ومن اتصافهم بعدواة الله ورسوله والإسلام واهله، وبالإلحاد والزندقة، والنفاق والندالة، والعهار والدياثة، والخيانة، ومن مجازاتهم بالإساءة كل من احسن إليهم، ومن جبروتهم وظلمهم وعسفهم، وجشعهم وطمعهم، كل ذلك ثابت واقع لا شك فيه ولا مرية.

وكله مما يوجب على المسلمين إبعادهم وكبهم والاحتراس الشديد منهم، والحذر من سموم ضلالهم، وعدم الركون إليهم، وكله مما يوضح أن النزاع إنما كان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وما أحسن ما أتى به من المقارنة والتنظير بين ما وقع من الأمة اليهودية، وتبعهم فيه من تبعهم من الأمة المحمدية، حذو النعل، وما كان أخرى الأمة بتجنب تلك المهاوى بعد إنذار نبيها لها، وإرشاده لها إلى ما فيه ضمان هداها.

فإننا لا نشك في ضلال اليهود، وفي أن الله غضب عليهم، لمخالفتهم أوامر ربهم، ولولا ذلك لما حذرنا نبينا (ص) من اتباع سننهم، وأنذرنا رحمة منه بنا وإتماما للحجة علينا، ولذلك نقطع بضلال من نبذ التمسك بأهل بيت رسول الله واتبع سنن بني إسرائيل.

ولا يلزم من كلامنا هذا الحكم بضلال جميع الأمة، كلا كيف لا، وقد صح عن النبي (ص) أن ربه اللطيف الخبير أنبأه - وله الحمد والمنة - أن أهل بيته، وكتاب الله لن يفترقا إلى ورود الحوض، فهم ومن تمسك بهم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية، وهم الطائفة التي لا تزال على الح لا يضرها من ناواها.

وبما تقرر مما ساق أكثره المصنف تتم الحجة في فصل الحكم فيما فيه النزاع، ويمتاز أهل الحق من المتبعين سنن من قبلهم.

ومن العجائب إتيان المصنف به وعدم فهمه له مع وضوحه وظهوره، والسبب في اشتباه الأمر عليه حتى كثر تحيره، ومذاكرته مشيخته طول عمره به - فيما نرى والله أعلم - هو إن شاء الله ما جرت به العادة غالباً من نشأة الإنسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وقومه وإعظامه لمن يعظموهم، واعتقاده أنهم أهل الحق، وأن مخالفتهم ضلال.

فينتحل التأويلات لكل ما يتراءى له من واضح خطائهم وأوهامهم، هكذا جرت

العادة، ولهذا كذبت الأمم رسلها، واستكبرت وكبر عليها أن يكون الخطأ حليف من ارتكز تعظيمه في قلوبهم، وهذا حجاب عن معرفة الحق، قل من خرقة إلا من وفقه الله وأعانته.

إن المصنف - وأمثاله كثير - لما بهره سطوع نور الحق، وظهر له ضلال من ضل تحير، ولم يصدق عقله، ولم يقنع بقواطع الحجج، بل استرسل مع الأوهام، وذهب يغالط نفسه، ويحاول ستر شمس الحق بخيوط من نسيج العناكب متتبعا للوساوس والخيالات الواهية.

وإذا تأمل الموفق المنصف صنيع كثير من العلماء في أمثال هذه المواضع مما تعصبوا له وجمدوا عليه، وأشربته قلوبهم، وارتضعوه مع اللبن، وربوا عليه يجدهم يتشبثون بأذيال الأوهام هيبة للإنفراد عن الجماهير، ونضالا عن آراء كبار مقلديهم وإعظاما لمقام سابقهم، وتخوفا من أن ينبزوا بالقاب مكروهة عند العامة، كالرفض مثلا، وحذرا من أن تعوى خلفهم كلاب الطواغيت من سفلة العلماء فيتعمدوا إطفاء نور الفرة، وإغماض عين البصيرة، وطمس معالم الهدى، وتخدير الضمائر بنحو قولهم: كذا قالوا، ولو لم يكن لهم مستند لما قالوا، وكقولهم: يسعنا ما وسعهم، وهم أعلم منا وأروع، وداعى الإنصاف يناديهم بلسان الحق المبين «**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**» [آين السورة].

والحق أن الذين هم أعلم وأروع هم من قال النبي (ص) فيهم (تعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) وهم الذين ضمن عدم الضلال للمتمسك بهم الذين من تقدمهم هلك، ومن تأخر عنهم هلك، ومن خالفهم ملك، وصار حزب إبليس.

الرابع: زعم المصنف رحمه الله تعالى أن الأمر اضتح له لنظره في أمور هي أن

رسول الله (ص) لما توفاه الله تعالى كان رجال من بنى أمية وحلفائهم عمالا له، ولم يكن أحد من قرابته (ص) إذ ذاك عاملا.

وبنى المصنف على هذا قوله، فإذا كان رسول الله (ص) قد أسس لهم هذا الأساس، وأظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليته لهم الأعمال. الخ.

فقد جعل المصنف تأسيس دولة بنى أمية مبنيا على هذه الشبهة الواهية، مقويا لها بما رواه البخارى عن الزهرى من إشارة العباس على على بسؤال النبی عن الخلافة. الخ.

مؤيدا ذلك برواية البخارى أيضا قول العباس لعلى: امدد يدك.. الخ وجواب على عليه.

داعما جميع دعاويه بأحاديث الفتن التى حذر النبى (ص) أمته فيها جبروت بنى أمية، واستبدادهم وطغيانهم لئلا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم، وليعتصموا بحبل الله وعتره نبيه.

ثم اتبع ما أشرنا إليه بما صنعه أبو بكر وعمر من توليتها جلائل الأعمال رجال بنى أمية، وعدم توليتها أحدا من أهل بيت رسول الله (ص)، وقد جعل ما ذكره ترشيحا لبني أمية، وتطريفا لهم إلى الخلافة، وحملا لهم على أعناق الأمة، وإقصاء لبني هاشم، وإبعادا لهم عن ما هم أحق خلق الله به، وسدا لباب الخلافة عنهم.. الخ الخ.

والصواب إن شاء الله تعالى أنه قد كان ممن ولاه النبى (ص) جمع شياها الصدقة وبعرائها، وما أشبه ذلك رجال من بنى أمية يعدون على أصابع اليد على نحو ما نقله

المصنف عن عمر بن عبد العزيز، وسنبتين لك فيما سيأتى ما هو مقصود تلك الولاية من النبي (ص) - لا من غيره لاختلاف المعنى والصورة - وبه تعرف جلياً أنها مما لا قيمة له فيما تخيله المصنف.

وما قد يفهمه قول المصنف انه لم يكن فى عمال النبي (ص) احد من بنى هاشم من ان النبي (ص) لم يول احداً منهمخ ليس بمراد قطعاً، لأن النبي (ص) ولى علياً النداء ببراءة بعد ان كان اعطاها ابا بكر، فأمر علياً ان يأخذها منه وقال له: (لا يؤدي عنى إلا انا او انت) رواه أحمد.

فأى ولاية تساوى ذرة من هذا الشرف، وما علينا من تمحلات من ديدنهم تصغير عظيم قدر اخى النبي (ص) وصنوه ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩. فليذهبوا فى اودية الباطل حيث شاؤوا ومن الهزء قولهم: إن النبي (ص) إنما راعى فى ذلك عادة عرب الجاهلية، وقد أعمالهم الغرض عن ان النبي (ص) إنما بعث لهدم الجاهلية وعاداتها الخبيثة، وما أقره (ص) مما كانوا عليه فإنما هو من تراث إسماعيل (عليه السلام)، ولو كان هذا منه لما خفى على النبي (ص) وعلى أصحابه الكرام، وقد كان لواءه الخاص فى المواطن بيد اخيه على وولاء على اليمن، كما ولاء إصلاح ما أفسده خالد بن الوليد، وتهدد من تلكا عن الإسلام ببعثه عليهم خاصف النعل، وهو على، وقال: (هو عدیل نفسى وولى كل مؤمن بعدى) وتواتر قوله فيه (من كنت مولاه فهذا مولاه) الحديث متواتر ولم يول عليه احداً طول حياته الشريفة، نفسى له الفداء إلى ما لا يحيط به الحصر من ومن ومن.

فيا عجباء لم ير المصنف جميع ما ذكرناه مع ما أحاط به علمه مما فى معناه ترشيحاً لعلى للخلافة مع توفر شروطها فيه، واتصافه بجميع ما اتصف به غيره من الصفات الجميلة الحسنة، وعدم اجتماع ما فيه منها فى احد أبداً.

وفهم واتضح له أن ما قيل من توليته لمن ولاه من بنى أمية لما سنذكره من الغرض لا أنها كانت ترشيحا للخلافة.

فمن أغرب الغرائب وأبعدها عن العقول والاطر السليمة أن يفهم أحد أو يقول، اتضح لى أن الأمة إنما استسلمت إلى بنى أمية أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام، وولتهم، وأقصت أخوا نبيها، وأصدق صديق له، وقتلت ذريته وشردتهم لما تخيله المصنف.

وقد ولت الأمة أبا بكر وعمر، ثم عثمان بدون ترشيح إذ لم يولهم النبي (ص) أعمالا تذكر، ولم تفهم الأمة أن فى ذلك إقصاء لهم عن الأمر، وأن عمال الزكوات وجباة الخراج أحق به منهم، وكذلك لم يحتج أحد بشيء مما بنى عليه المصنف العلالى والقصور يوم السقيفة، ولا يوم الشورى، ولم يتضح لأحد منهم ما اتضح له، ولكن الوهم قد يربو فيغمر العقل فتتجسم له الخيالات.

وقد مات رسول الله (ص) وأسامة أمير على أبى بكر وعمر وكثير من المهاجرين والأنصار، ورايته عليهم معقودة، فلم يفهم هو ولا غيره أن ذلك ترشيح له للخلافة، وهو هو.

أما السبب فى تولية النبي (ص) من ولاه من بنى أمية، ومن ضارعهم فيما يظهر لنا فهو أنهم كانوا من الد أعداء المسلمين، وأشدهم نكاية فيهم فثارات المسلمين عندهم كثيرة، وحنقهم عليهم شديدة، وقد تقدم ذكر نموذج مما كانوا عليه، ثم كان إسلامهم عن قهر، وكره وغلبة، ولم تنزل تبدو منهم فلتات تدل على أنهم إنما أظهروا الإسلام وأسروا الكفر، فكان نزار المسلمين منهم عظيما، وكرههم لهم متاصلا، وتقززهم منهم مستمرا .

روى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال: قال عمر بن الخطاب لأبى سفيان

ابن حرب، لا أحبك أبدا، رب ليلة غممت فيها رسول الله (ص).

فهل ترى عمر يعتقد صحة إسلام أبي سفيان، ثم لا يحبه أبدا لذنوب محاه الإسلام، حاشا ولكنه عرف نفاقه، وإصراره على ما كان عليه.

جاء في الأخبار الصحيحة أن جماعة من أصحاب الصفة مرّ بهم أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه فعضوا أيديهم عليه، وقالوا: وأسفاه كيف لم تأخذ السيوف مآخذها من عتق عدوّ الله، وكان معه أبو بكر، فقال لهم: اتقولون هذا لسيد البطحاء، فرفع قوله إلى رسول الله (ص) فأنكره، وقال لأبي بكر: انظر لا تكون اغضببتهم فتكون قد اغضبت ربك، فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم، وسألهم أن يستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك. رواه مسلم.

اترى رسول الله (ص) يقر ما قاله أهل الصفة لو كان أبو سفيان صحيح الإسلام حاشا وكلا، فأراد النبي (ص) من جهة تأليف قلوب أولئك الأعداء، ومداواة أودهم، ولددهم ومن جهة تخفيف نفرة المسلمين منهم، وتقريبهم إليهم، بتوليته لهم ولأهم عليه، ومن جهة ثالثة تضيقهم في الأطراف لئلا يتألف منهم حزب ضلال وإضلال، ومن جهة رابعة إبعادهم عن المدينة لئلا يبقوا بها عيوننا وجواسيس للأعداء، وماوى ومكمتا لكل غادر خبيث، ولئلا يفسدوا قلوب من في قلوبهم مرض، من ضعفاء اليقين ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ التوبة: ٤٧.

وقد سبق ذكرنا لأن أكثر ما ولاه رسول الله (ص) أولئك الملموزين في دينهم المدخول إسلامهم ولم تكن ولايات ذات خطر، سيما في تلك الأعصار بل هي من جنس ما ولاه الخائن ابن التبيه، والفاسق بنص القرآن ابن أبي معيط من جمع أعنز وضأن أباعر بسيرة صدقة من الأعراب، أو جزية قليلة لو حولت إلى عملة زمننا هذا لما ساوت



ما يستلمه محصل متوسط، أو هي أشبه بإمامة كفر صغير، أو عرافة عريف كتيبة تغير على طرف من الأطراف، وتحل حين تعود، فلا يجوز أن يبني عليه أكثر مما ذكرناه مهما بالغنا فيه.

الرسول وبنى هاشم، وأما عدم إكثار النبي (ص) من تولية بنى هاشم وأجلاء الصحابة، وتفريقهم فى الأطراف، فله اسباب، ولا يجوز أن يكون فى ذلك إقصاء لهم عن الخلافة، كما زعم المصنف اتضح ذلك له، أو قطعاً لطمعهم فيها:

منها: أن بقاءهم بجوار رسول الله (ص) يحفظون ما ينزل من القرآن، ويتلقون ما تجدد من السنة ليبلغوا ذلك إلى الأمة أهم وأكثر تفعلاً للأمة من تحصيل نعم الصدقة، ونحو ذلك.

ومنها: أن ذهاب أولئك الأقرباء والخواص إلى الأطراف يعرى به جانب رسول الله (ص) ويبقى بعدهم بين كثير من المنافقين الذين مردوا على النفاق من أهل الضغائن المتريصين بالإيمان وأهله الدوائر.

ومن عرف أنه قد فر جمهور الصحابة عن رسول الله (ص) ولم يثبت معه إلا نضر قليل فى بعض المواطن، ثم فى حنين ولوا عنه مدبرين، ولم تمنعهم بيعة الحديبية عن الفرار، ولم يثبت معه إلا أناس من أهل بيته فقط، كما ثبت فى شعر العباس وغيره، فهل يكون من الصواب تفريق المحبين المخلصين الناصحين المستميتين فى نصر الله ورسوله فى السباسب والقفار وأطراف البلاد لجمع الزكوات، أو الجزية إن ذلك لبعيد عن الصواب.

وبهذا يظهر جلياً بطلان ما استنتجه المصنف رحمه الله، وبنى عليه ما بنى، وفيه

كفاية لمن يفهم، وينصف إن شاء الله تعالى.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من احاديث الفتن وما فى معناها مما فيه نحو  
بنى مروان على المنبر الشريف نزو القردة، أو اتخاذهم مال الله دولا وعباد الله خولا  
لله، وقلبهم الدين ظهراً لبطن.

فإن كان فى ذكر انبياء بنى إسرائيل هلاك اليهود، وتحريب المسجد ترشيح  
وتأسيس لملك بخت نصر.

أو كان فى ذكر رسول الله (ص) بنى قنظوراء تمهيد لاستيلائهم على الأمة  
وإذلالها.

أو كان فى ذكره عليه وآله الصلاة والسلام المسيح الدجال إغراء للأمة على  
الاستخذاء له، والتسليم إليه، ووضع زمامها بين يديه إن كان شىء مما ذكرناه كذلك.

فإن ما جاء من ذكر بنى أمية وعسفهم واستبدادهم وظلمهم وما صح من اتباع  
الأمة سنن من قبلها تمهيد لملك بنى أمية، واستداد كل جبار وظالم، وكون هذا من أكبر  
الباطل بين، فكذلك ما توهمه المصنف.

ومن الحق الذى لا شك فيه أن إخبار النبى (ص) بوقوع أمر يفيد أنه سيقع حتماً  
بدون خلف، وفق ما أخبروا ولكن مجرد الخبر لا يفيد أن المخبر عنه حق أو باطل، نعم  
إن اقتران الإخبار بالغبطة بالمخبر به، والتحبيذ له، والمدح له، أو الأمر به، فذلك الأمر  
حق، والسعيد من وفق له.

وإن اقترن به ضد ما ذكر فهو ضلال والشقى من علق به.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تولية ابي بكر رجالا من بنى امية اعمالا فيمكن حمل شيء منها على ما تقدم بيانه في تولية رسول الله (ص) لمن ولاه من المغموصين، ويجوز أن يكون لشيء منها مغزى سياسى، وتولية عمر يترأى ان جانب السياسة في بعضها اظهر والله اعلم.

وأما عدم توليتها اهل بيت رسول الله (ص) الأعمال فلا اعلم له معنى دينيا، وفوق كل ذى علم عليم.

وما رواه عن ابن عمر انه قال للحسين بن على، والله لا يليها احد منكم. الخ، إن صح فهو غلط واضح، ومثله ما روى عن ابن عباس في هذا المعنى، ويقرب كل القرب ان ذلك كذب موضوع، لأنه يبعد ان ينسى ترجمان القرآن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٥٤.

ولقد كان نبيا محمد (ص) مع كونه نبيا عبدا خالصا. يحكم بين الناس بما انزل الله، ويجبى الأموال ويقسمها كما امر الله، ويقود الجيوش محاربا وغازيا لمن حاد الله، ولو كان لما زعموه عن ابن عمر وابن عباس اصل لما كان نبيا (ص) إلا كبعض انبياء بنى إسرائيل الذين اقتصروا على إرشاد ملوكهم، ونصحهم، وليس لهم من الأمر شيء، وهيئات هيئات.

ولقد كان على عليه السلام صنو النبى (ص) واخوه مع كونه افضل من غيره قد لابس ما لابس من امور الخلافة، ولم يك ذلك لهوانه على الله تعالى حاشا وكلا، وهكذا الأمام المنتظر عليه السلام، ولكنها الغفلة واستشعار عظيمة من نسب إليه القول تحمل

المرء على قبول الكلام المتهافت الباطل.

وما ذيل به المصنف ما نقله عن ابن عمر وابن عباس، وهو لفظ: (وذلك من فقهما) كلمة فيها جفاء شديد، وهل يظن عالم عاقل مصنف أن الحسين ابن رسول الله، الذي خرج في سبيل الله مؤدياً للواجب العيني عليه، قليل الفقه فيما استشهد في سبيله حاشا وكلا.

ولعل المصنف وجد تلك الكلمة العوراء فيما نقل عنه من الكتب، فكتبها غافلاً عن مدلولها، كما فهم من خطبة الحسن بعد الصلح خلاف ما تدل عليه، ومثله فهمه من على الصدقات الإشارة إلى الإمامة العظمى، وكل ذلك خطأ باطل كما تقدم بيانه.

وما ذكره من أن سر خروج الخلافة عن أهل البيت هو لئلا يقال: ملك متوارث، وما في معنى ذلك فهو مما لا قيمة له، لأن الخلافة مقام ومنصب ديني، ولن يتم ويحصل منه الغرض إلا إذا قام به أخص الناس بالدين، وأولاهم بالمسلمين.

ولو كان لمثل تلك الترخصات والتفوهات حكم لما أوجب الله الصلاة على النبي وآل بيته (ص)، ولما جعل لهم الخمس، ولما افترض على الأمة حبهم فالجواب عن هذه الأمور هو الجواب عن الخلافة.

ومن المضحكات قوله: إن الخلافة صارت إلى بني العباس لضعف الدين لعدم استحقاقهم لأنه يفيد أن الضعف في الدين إنما حصل حينئذ مع أنه لم يزل وما كان سبب حصولها لنبي أمية شراً مما هو سبب حصولها لنبي العباس بل هذا ابن ذلك، والشراً لا ينبت إلا شراً، فالضعف قديم، والماء صرف من الأعلى والداء مزمن جداً.

وما نقله المصنف عن البخارى عن الزهري من إشارة العباس على على فى أيام مرض النبى (ص) بأن يسأله عن خليفته، واپاء على ذلك فغير صحيح عندنا لمعارضته لما هو اقوى منه مما لا تحوم التهم ولا الشكوك حوله مما يقوله على، ويكرره علانية، فى خطبه وكلامه، ومجموعه يوجب القطع بصدوره منه.

وهذا المصنف نفسه قد نقل عن البخارى وغيره عن الزهري وغيره قول على للعباس فى محاورتهما فى أمر الخلافة، وه يطمع فيها غيرنا، أو ما معناه هذا على اختلاف الروايات، وليس بين صدور المقالة الأولى، وبين صدور الثانية، إلا ساعات غير كثيرة لو صح قولهم، ومن ذلك يظهر جليا للمتأمل المنصف أن بعض تلك الروايات كذب مخترع، وكذلك كل ما فى معناها، فإنما أحدثته السياسة، وصححته القوة، وروجه سماسرتها من متاجرى علماء السوء، وسهل ذلك الإرسال والتجويد بطنى أسماء رجال بعض سلسلة الإسناد إذا كانوا من طبقة واحدة فى المعاصرة، وكل هذا كان فى تلك الأيام مشهوراً.

والزهري من أكبر رواة الصحيح، وقد كان من صنائع بنى مروان، وعمالهم، بل هو من المنقطعين إليهم، ومن التقريين إلى أهل الدنيا فلا غرو إن روى ما يروج به امرهم تزلفاً إليهم، أو دفعا لشروهم عنه، أو إبعاداً لشكوكهم فيه.

جاء فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود، ١١٣، قال: قال الحسن رحمه الله: جعل الله الدين بين لادين ﴿وَلَا تظفروا.. ولا تركنوا﴾.

ولما خالط الزهري السلاطين كتب له أخ فى الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعوا لك الله، ويرحمك، أصبحت شيخا

كبيراً قد أثقلت نعم الله بما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء<sup>(١)</sup>.

قال الله سبحانه: «تَبَيَّنْتُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ» [آل عمران: ١٨٧] واعلم أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت أنك آنتست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقاً، ولم يترك باطلا حين أدناك، اتخذوك قطباً تدور عليك رحا باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ظلالهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجاهل، إلى آخر ما قال. انتهى.

قال المحدثون: إن السند ولو كان كالشمس وضوحاً لا يفيد صحة المتن المنكر.

قال الحافظ بن عبد البر في الاتيعاب عند ذكره أحاديث مما رواه البخارى وغيره، وصححها غير واحد، قال: لا تصح لعدم صحة المعنى، أى ولا عبرة حينئذ بصحة السند.

ونقل ابن السبكي في الطبقات أن محمد بن حنبل أوصى أن يضرب على حديث أبى هريرة الذى فيه الإشارة إلى امر الناس باعتزال قريش، مع أن رجاله ثقة، وما ذاك إلا لمخالفته المشهور من الأحاديث.

قال السيد محمد رشيد رضا: إننى أعلم أنه ليس كل ما صحح بعض المحدثين سنده يكون صحيحاً فى نفسه، أو متفقاً على تعديل رجاله، فكأين من رواية صحح بعضهم سندها، وقال بعضهم بوضعها لعله فى متنها، أو سندها، والجرح مقدم على ---

(١) انظر تاريخ الزهرى فى تذكرة الحفاظ للذهبي وكتب الرجال. وانظر كتب التاريخ فترة عبد الملك بن مروان.

التعديل، بشرطه، وقد ذكروا من علامات الوضع ما ردوا به بعض الروايات الصحيحة الإسناد. انتهى.

وفى كتابنا العتب الجميل فى هذا المعنى ما يزيد المستفيد فليراجع ذلك من أحب (٢).

وما ذكره المصنف من قول العباس لعلى - عليه السلام -: امدد يدك ابايعك، وامتناع على عليه السلام - فقد اختلف فى أيهما كان رايه الصواب، والذي يظهر لنا ان كليهما مصيباً من الجهة التى اعتمدها، ولكن علياً - عليه السلام - كان أتم إصابة، وابعد نظراً، واحكم رأياً، فإن العباس بنى رايه على حسن ظنه بالأمة، التى لم تر الخير إلا بواسطة رسول الله (ص) فلم يجوز منها ان تعرض عن اهل بيت نبيها، سيما صنوه واخيه، وافضل من تركه بعده، واكبر مجاهد بين يديه.

وعلى اخترق نظره الحجب فعرف جلية الأمر، وحقيقته، إما بفراسة صادقة، او بأخبار احيه له بذلك عن ربه جلّ جلاله، فعلم ما تكنه شجف الغيوب، وضماير القلوب، فحفظ بما صنعه الإسلام عن الزوال جزاء الله عن دينه وعن نبيه وعن المسلمين خير الجزاء، وما كان فعله ذلك اول خدمة ضحى فيها بكل نفيس غال.

وما رواه المصنف من قيام أبى سفيان على قبر حمزة وخطابه له، وقد تقدم نقله فالرواية الأولى لعلها كانت بالمعنى، تلطيفاً للشناعة.

والرواية الثانية هى الصواب إن شاء الله تعالى، وفيها انه ركل قبر حمزة برجله اقتداءً ببابليس فى ركله جسد آدم عليه السلام.

(٢) تم طبع الكتاب بالقاهرة وقد قمنا بالتعليق عليه.

ونرى ان ابا سفيان اراد بمخاطبته حمزة بقوله: إن الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم مقابلة خطاب رسول الله (ص) لأصحاب قليب بدر بقوله: «فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ» [الأعراف: ٤٤] وهذا غير كبير ممن وقض على حمزة هذا مقتولا ممثلا به، وقد اكلت زوجته هند كبده، وقطعت آرايه، ومذاكيره فجعلتها حليا لها فضرب بزج رمحه شديق حمزة، وقال: ذق عقق، ذق عقق، ومن القائل لعثمان بن عفان فيما رواه الحافظ بنعبد البر حين استخلف على الناس عثمان: ادرها كالكرة، واجعل اوتادها بنى امية، فإنما هو الملك، ولا أدى ما جنة، ولا نار.

وقد تقدم نقل المصنف لهذا المقالة.

وقد انتهينا من كتابة ما رأينا فى بيانه إفادة، وبقيت فى زوايا كلام المصنف كلام المصنف رحمه الله بقية لا حاجة بنا للكلام عليها مما أطال به فمنها ما هو بديهي البطلان متهافت، ومنها ما للكلام عليه محل آخر، ومنها ما هو صواب، وصحيح ثابت، وهو الموافق لما حققناه.

وتم تسويد هذه الوريقات مع استعجال، فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فما كان حقا وصوابا فمن الله وحده، وله الحمد والمنة وما كان باطلا وخطأ فمنى ومن الشيطان، واستغفر الله للعمد و الخطأ سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تسويدها ظهر يوم الثلاثاء لثمان خلت من شهر صفر عام ١٣٣٧هـ وتم تبييضه ضحى يوم الإثنين لثلاث بقين من شهر رجب عام ١٣٤٢هـ فى سنغافورا والحمد لله أولا وآخرا، وصلاته وسلامه على محمد وآله، ومن تبعهم بإحسان، وكتبه بيده العبد محمد ابن عقيل بن يحيى عفا الله عنهم آمين.



## فهرس موضوعات الكتاب

|     |   |
|-----|---|
| ٥   | - تقديم.....  |
| ٢٩  | - النزاع والتخاصم .....                                 |
| ٢١  | - مقدمة المؤلف .....                                    |
| ٢٢  | - فصل فى أبى سفيان ومروان .....                         |
| ٢٨  | - جذور العداء .....                                     |
| ٥١  | - فصل فى ذوي القريى .....                               |
| ٥٨  | - فصل فى استحقاق بنى امية للخلافة.....                  |
| ٦٠  | - فصل فى عمال الرسول من بنى امية.....                   |
| ٦٦  | - فصل فيما ورد فى بنى امية.....                         |
| ٦٩  | - فصل الخلفاء وبنى امية .....                           |
| ٧١  | - فصل اختصاص بنى هاشم .....                             |
| ٧٦  | - فصل فى خروج الخلافة ....                              |
| ٧٩  | - فصل فى بنى العباس .....                               |
| ٩٥  | - فصل فى اتفاق الخلافة الإسلامية مع الملة الموسوية..... |
| ١٠١ | - ملحق ؛ فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم .....            |

**مطابع سجل العرب**  
٩ شارع عماد الدين - القاهرة - ج.م.ع  
ت: ٥٩٣٢٧٠٦ ص.ب. ١٣١٥ العنبة

## هذا الكتاب

يعرض الأسباب التي أحكمت  
المنافرة بين بني هاشم وبني أمية  
وانتقلت بعدها إلى الرسول (ص)  
وآل البيت من بعده ..  
وهو الكتاب الأول في موضوعه  
على مستوى التراث الإسلامي فلم  
يتعرض كاتب على المستوى القديم  
والحديث لهذه القضية وذلك  
بسبب السياسة والحكام والروايات ..  
وقد أن الأوان ليلقى الضوء على  
هذه القضية الهامة التي انعكست  
على واقع الإسلام ومستقبله ..  
أن الأوان لإعادة قراءة التاريخ  
الإسلامي بمعزل عن السياسة  
وأقوال الرجال ..

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)